



جمهورية العراق
وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ
جامعة كربلاء
كلّية التّربية للعلوم الإنسانيّة
قسم اللّغة العربيّة

ألفاظ الدولة في القرآن الكريم في ضوء نظرية الحقول الدلالية

رسالة قدّمتها الطالبة:

زينة ماجد محسن

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانيّة في جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / لغة

بإشراف

الأستاذ الدكتور

جنان منصور كاظم الجبوري

2024 م

1445 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

بَيَانَهُ

[القيامة/ 18-19]

إقرار المشرف


أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(ألفاظ الدولة في القرآن الكريم

في ضوء نظرية الحقول الدلالية) التي قدّمتها الطالبة (زينة ماجد محسن) جرت
تحت إشرافي بمراحلها كافة، في قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الإنسانية/
جامعة كربلاء، وأنّ الرسالة استوفت خطتها استيفاءً يؤهلها للمناقشة وهي جزء من
متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / فرع اللغة .


إمضاء

أ. د. جنان منصور كاظم

٢٠٢٤ / ٧ /


إمضاء

بناءً على التوصيات المتوافرة أشرح هذه الرسالة للمناقشة

أ. د. ليث قابل الوائلي

رئيس قسم اللغة العربية

٢٠٢٤ / ٧ /

قرار لجنة المناقشة

إننا أعضاء لجنة المناقشة إننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة ب (الفاظ الدولة في القرآن الكريم في ضوء نظرية الحقوق الدلالية) وناقشنا الطالبة (زينة ماجد محسن) في محتوياتها وفي ما له علاقة بها , نعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وأدائها بتقدير (جيد جدا)

 التوقيع

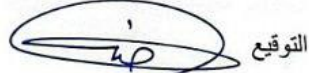
الاسم : أ.د. عدوية عبد الجبار كريم

عضوا

 توقيع

اسم : أ.د. محمد حسين علي زعين

ئيس اللجنة

 التوقيع

الاسم : أ.د. جنان منصور كاظم

عضوا ومشرفا

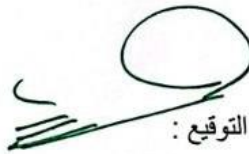
 توقيع

اسم : أ.م.د. أسامة عبد الغفور نصيف

عضوا

سابقة مجلس الكلية :

ادق مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء في جلسته () بتاريخ () على قرار لجنة مناقشة

 التوقيع :

أ.د. هادي شندوخ حميد

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء

٢٠١٨ / ٤ / ٢٤

شكر و تقدير

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ. وله
الشكر شكراً يليق بجلاله ، ربّ كيف أشكرك حقّ شكرك، وليس من شكر أشكرك به
إلا وأنت أنعمت به عليّ.

وافر شكري وعظيم امتناني إلى كلّ من رفدني وأعانني على إنجاز عملي
هذا، أخصّ الدكتورة جنان منصور، والشكر موصول إلى عميد كلية التربية
ومعاونيه، وأساتذتي في قسم اللغة العربية رئيساً وتدرسيين، وإلى كلّ من علمني
ورفدني بعلمه وبمكارم أخلاقه، فجزاهم الله عني خير جزاء المحسنين.

وأفردُ شكر خاصاً وافراً لأساتيذي في لجنة المناقشة شكراً يليق بمقامهم على
ما سيمنحونني من سديد آرائهم في رصد هنات هذه الدراسة وتصويب مسارها نحو
مسار العلم والتكامل المعرفي .

الباحث

المحتويات

الصفحة	الموضوع
5-1	المقدمة
25-6	التمهيد
9-7	أولاً: الدولة لغةً واصطلاحاً
15-10	ثانياً: التعريف بنظرية الحقول الدلالية
19-15	الحقول الدلالية في التراث العربي
25-19	الحقول الدلالية في الدراسات اللسانية الحديثة
66-26	الفصل الأول: اللفاظ التي تدل على أماكن تكوين الدولة في القرآن الكريم
41-29	المبحث الأول: القرية
56-42	المبحث الثاني: المدينة
66-57	المبحث الثالث: البلد
101-67	الفصل الثاني: الألفاظ التي ذكرت أسماء الدول في القرآن الكريم
83-71	المبحث الأول: الأسماء الصريحة
101-83	المبحث الثاني: الأسماء غير الصريحة
137-102	الفصل الثالث: الألفاظ التي دلت على ترؤس الدولة في القرآن الكريم
116-103	المبحث الأول: الملوك من الأنبياء
137-117	المبحث الثاني: الملوك من غير الأنبياء
141-138	الخاتمة والنتائج
151-142	المصادر والمراجع

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله الذي تفضّل علينا وتمّم، وعلّمنا ما لم نكن نعلم، والصلاة والسلام على صاحب خبر السماء، وينبوع الصفاء والعتاء، أفصح من نطق الضاد، سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، النبيّ العربيّ، وعلى آل بيته الطيّبين الطّاهرين.

لاقت الدّراسات القرآنيّة اهتمام الباحثين والدّارسين على مرّ العصور، وذلك لما في القرآن من دروس وعبر وأسرار وغرائب.

ومن ضمن أهمّ الأسرار في القرآن ومن أجمل ما فيه مفرداتها الدالة على الإعجاز، فالقرآن الكريم قد أثبت إعجازه البلاغيّ والبيانيّ في نظمه وأسلوبه ودقّة اختيار ألفاظه وترتيب معانيه، ولطالما شغلت المفردة القرآنيّة اهتمام علماء اللغة، وعلماء التّفسير وعلماء الفقه، فدرسوها دراسة لغويّة وتفسيريّة وفقهيّة وأصوليّة ودلاليّة وبيانيّة.

ومن بين النّظريّات التي أسهمت في دراسة اللفظة في القرآن الكريم، نظريّة الحقول الدلاليّة، ففيها لا ينظر إلى الكلمات بوصفها مشكلة لمعناها المتعارف عليه في حدود معجمية، ولكنها في مجموعها تمثّل كلاً مترابطاً متناسقاً تجمعها علاقة معيّنة، فالحقل الدلاليّ هو مجموعة الكلمات التي ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظٍ عامٍّ يشملها جميعاً، ومنها فإنّ دلالة أيّ كلمة في هذا الحقل يمكن تحديدها عن طريق البحث مع أقرب الكلمات إليها، فالكلمة لا تقف منعزلة عن غيرها، بل هناك عرى تجمعها مع كلمات أخرى بحيث تنتمي هذه الكلمات إلى عائلة واحدة.

ولأهميّة اللفظة في القرآن الكريم، وأهميّة نظريّة الحقول الدلاليّة في ميدان الدّراسة، جاء هذا البحث بعنوان: (ألفاظ الدّولة في القرآن الكريم - في ضوء نظريّة الحقول الدلاليّة).

وتبعاً لذلك فإنّ اختيار هذا البحث يعود إلى الرّغبة في التّبجّر في دلالات النّصّ القرآنيّ، وما يتمتّع به من ميّزات وسمات.

كما أنّ أهميّة البحث تعود إلى:

- 1- أهميّة النّصّ القرآني في الحياة اليوميّة للفرد المسلم.
 - 2- كون لفظ الدّولة من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، إلى جانب ألفاظ أخرى مرادفة لها كالفرية والبلد، بمعنى أنّها جاءت بمعنى ما يدل على تفسير شؤون الدولة وما يتبع لها.
- وأما أسباب اختيار البحث، هناك عدة أسباب:

1. الرغبة الجادة في التعرف على فهم ألفاظ الدولة في دراسة النصّ القرآني.
 2. التعرف على آلية التوظيف لأساسيات الحكم والتروّس كما ظهر في النصّ القرآني.
 3. معرفة أهمية الدلالة في التفسير لألفاظ الدولة.
- إذ يهدف البحث إلى أهم هذه النقاط:

- 1- إبراز أهميّة النّصّ القرآني وإثره في تأسيس حياة الفرد.
 - 2- إبراز ما ورد فيه من ألفاظ تدلّ على الدّولة.
- ونظراً لذلك، فقد استند البحث إلى عدد من الدّراسات السّابقة، منها:
- 1- إدارة الدّولة في الإسلام- دراسة تأصيليّة لمفهوم إدارة الدّولة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ، رسالة ماجستير إعداد: محمّد علي محمود صبح، إشراف: د. رائد نعيّرات، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس - فلسطين، 2011م.
 - 2- الدّولة في المنظور الفقهيّ، د. مهّد مصطفى جمال الدّين، كليّة الفقه، جامعة الكوفة - العراق، مجلّة مركز دراسات الكوفة - مجلّة فصليّة محكّمة.
 - 3- مفهوم الدّولة وأركانها في الفكر الإسلاميّ المعاصر، د. بتول حسين، مجلّة العلوم السياسيّة، كليّة العلوم السياسيّة، جامعة بغداد، العدد 43.
- ومن الدّراسات التي درست اللفظة القرآنيّة من ناحية التضمين لما يفسّر معنى الحكم والدولة:

- 4- ألفاظ الهداية والضلال في القرآن الكريم في ضوء تفسيري القرطبي والشعراني (دراسة صرفية، نحوية، دلالية)، رسالة ماجستير إعداد: سائد فايز محمود جزّار، إشراف: د. أحمد حسن حامد، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، 2014م.
- 5- ألفاظ الغفران في القرآن الكريم - دراسة لغوية، رسالة ماجستير إعداد: سحر ناجي فاضل المشهدي، إشراف: د. محمد حسين علي الصّغير، جامعة الكوفة، العراق، 1428هـ - 2007م.
- 6- مصطلح المدينة من خلال القرآن الكريم، الجمعي شبائكي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الشريعة والاقتصاد، الجزائر، رسالة ماجستير 2021.
- 7- الأبعاد المكانية والوصفية للقريّة والمدينة في القرآن الكريم، أبكر إبراهيم، المجلة العلمية لجامعة الإمام المهدي، العدد 7، 2016. بحث منشور.
- 8- اتساع الدلالة المعجمية في القرآن الكريم في ضوء مجمع البيان للطبرسي، حنين العامري، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة الباحث، مجلد 42، عدد 4، جزء 1، 2023. بحث منشور.
- والمنهج المتبع في الدراسة هو المنهج الوصفي الذي يقوم على الاستقراء، لأنه يساعد البحث على الوصول إلى النتائج المرجوة منه، عبر تقصي الألفاظ في سور القرآن الكريم وآياته.
- وقد تمت دراسة الموضوع على النحو الآتي:
- مقدّمة ثم تلاها التمهيد
- ومن ثم الفصل الأول: الألفاظ التي تدلّ على الدّولة في القرآن الكريم (القريّة، المدينة، البلد)
- وبعد ذلك الفصل الثاني: الألفاظ التي ذكرت أسماء الدّول في القرآن الكريم (الأسماء الصّريحة، الأسماء غير الصّريحة)
- ومن ثم الفصل الثالث: الأسماء التي دلّت على ترؤس الدّولة في القرآن الكريم (الملوك من الأنبياء، الملوك من غير الأنبياء)
- وأخيراً الفصل الرابع: الألفاظ الدّالة على الدّولة الإلهيّة

ومن ثم الخاتمة ونتائج البحث، وثبتت المصادر والمراجع، وملخص الدراسة باللغة الانجليزية
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

التمهيد

أولاً: الدولة لغة واصطلاحاً

ثانياً: التعريف بنظرية الحقول الدلالية

لا بد لنا من معرفة بعض الأمور المتعلقة بطبيعة الحياة البشرية في القرون الأولى، من المعروف أنّ العرب قبل الإسلام كانوا يعيشون في قبائل مختلفة، لكلّ منها نظامها وقانونها الذي يسيّر أمورها، وبعدها جاء الإسلام، وأذن الله تعالى لنبيّه الكريم محمّد صلى الله عليه وسلّم بالهجرة من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنورة، بدأت بذور الدّولة الإسلاميّة بالتشكّل، فقد أسّس رسول الله نواة الدّولة الإسلاميّة في المدينة المنورة، ولفظ (دولة) لا يغيب عن القرآن الكريم، كما ورد فيه أسماء بعض المدن والقرى التي شكّلت مراكز رئيسة في الدّولة الإسلاميّة الناشئة، وقبل أن ندرس أفاظ الدّولة التي وردت في القرآن الكريم، بأنواعها كافّة، لا بدّ من التعرّف بمفهوم الدّولة لغة واصطلاحاً، والتعرّف بنظريّة الحقول الدّلاليّة التي ستتمّ الدّراسة على وفقها.

أولاً: الدّولة لغة واصطلاحاً:

لغة:

تعود هذه اللفظة إلى الجذر اللغويّ (دول)، بضمّ الدّالّ وفتحها، ولها معانٍ عدّة، منها: دلالتها على الحرب إذا كانت مفتوحة الدّالّ، ومن ذلك قولهم: كانت لنا عليهم الدّولة، وجمعها: دول، أمّا الدّولة بضمّ الدّالّ، فتعني المال، ومن ذلك قولهم: صار الفيء دولة بينهم، والجمع: دولاً ودول، ورأى البعض أنّ الدّولة بفتح الدّالّ وضمّها لغتان تشيران إلى معنى واحد¹.

وعن طريق ما ورد في معاجم اللغة العربيّة القديمة، لا نجد فيها ما يشير إلى المعنى الذي تستخدم له في العصر الحالي، وهو المعنى الذي ستبنيّه الدّراسة لهذه اللفظة.

اصطلاحاً:

يعود هذا اللفظ في الأصل إلى اللغة اليونانية والرومانيّة، وهو يشير إلى نوع من التنظيم الاجتماعيّ الذي يضمن أمنه وأمن من ينتمي إليه، ضد ما يحيق بهم من أخطار خارجيّة أو داخلية².

¹ ينظر: الصحاح تاج العربيّة، إسماعيل الوهري: 1700/4.

² ينظر: الدّولة في المنظور الفقهيّ، د. مهدي مصطفى مال الدّين، ص 10.

ونجد تعريفاً أوضح للدولة عند الفقيه الفرنسي بارتلي الذي يقول: إنها "مؤسسة سياسية يرتبط بها الأفراد عن طريق تنظيمات متطورة"¹، وهذه التعاريف تشير إلى كون الدولة قائمة على جماعات من الأشخاص، لا بدّ لهم فيها من قائد، أو حاكم، يقوم بضبط هذه الجماعة وتوجيهها. أمّا العلماء العرب فلا نجد تعريفاً للدولة عندهم سوى ما وجدناه لدى ابن خلدون، الذي شبهها بالكائن الحيّ، يقول: هي "كائن حيّ له طبيعته الخاصة به، ويحكمها قانون السببية، وهي مؤسسة بشرية طبيعية وضرورية، وهي أيضاً وحدة سياسية واجتماعية لا يمكن أن تقوم الحضارة إلاّ بها"².

وقد وردت لفظة دولة في القرآن الكريم مرّة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾³، وهي في هذه الآية تدلّ على التداول بين الناس، وانتقال الشيء من شخص إلى آخر، كالنقود وغيرها⁴.

وعدم دلالة هذه اللفظة هنا على الدولة بالمعنى الحديث لا يعني أنّ القرآن الكريم لم يهتم بها، فقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ تدلّ على الدولة، وذلك لأنّ الدّول في ذلك الوقت كانت صغيرة محدودة من حيث المساحة والسكان، هذه الألفاظ هي: القرية، المدينة، البلد، "لفظة قرية الواردة في القرآن الكريم لا تعني مفهوم القرية الريفي، وقد أكدت المفاهيم القرآنية أن هناك فرق بين القرية والمدينة من الناحية الحضارية"⁵ وقد تكرّرت لفظة القرية في القرآن الكريم مرّات كثيرة، حيث وردت مع مشتقاتها (55) مرة، منها قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾⁶، أمّا كلمة مدينة وكلمة بلد فقد تكرّرت كلّ منهما بعدد مرّات أقل من كلمة (قرية)،

¹ الوجيز في النظم السياسيّة، نعمان الخطيب ص12.

² مقدّمة ابن خلدون، ابن خلدون، ص1530.

³ سورة الحشر، الآية 7.

⁴ ينظر: فتح القدير الامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسر، محمد علي الشوكاني، /384.

⁵ الأبعاد المكانية والوصفية للقرية والمدينة في القرآن الكريم، خديجة عبد الموالى، ص52.

⁶ سورة الأعراف، الآية 4.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾¹، وقوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بَشِقَّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾².

ولن نتوسّع في الحديث عن هذه الألفاظ في هذه الفقرة، فهي سترد في موضعها من الدراسة بصورتها التفصيلية.

¹ سورة الحجر، الآية 67.

² سورة النحل، الآية 7.

ثانياً: التعريف بنظرية الحقول الدلالية:

تعددت نظريات الدراسة التي يتبناها الباحثون والدارسون في أثناء قيامهم بدراساتهم، ومن ذلك نظرية الحقول الدلالية، وفي هذا الموضوع سنقوم بالتعريف بهذه النظرية، لغة واصطلاحاً، وعند العرب والغربيين، وذلك كي نحيط بهذه النظرية من جوانبها كافة، ونطلع على كل ما يتعلق بها.

تتكون الحقول الدلالية من مفردتين اثنتين هما:

- الحقول.

- الدلالية.

وللمفردتان معانٍ معجمية لغوية، وأخرى اصطلاحية، نبينها وفقاً للآتي:

الحقول لغة:

جاء في معاجم اللغة قولهم: "حَقْلٌ، حَقْلًا، وحَقْلَةُ البعير أو الفرس: أصابه وجع في بطنه من أكل التراب، الحَقْلُ والحَقْلَةُ (طب): وجع في بطن الفرس أو الجمل من أكل التراب مع البقل"¹.

وجاء في المعجم الوسيط معنى الجذر (حقل) كما يأتي: "الحقل: ج. حقول، الأرض، الفضاء الطيبة التي يزرع فيها، والزرع ما دام أخضر، وحقل البترول: المكان الذي يستنبط منه البترول للاستغلال، وحقل التجارب: المكان الذي تجري فيه"².

فالحقل هو المساحة المحددة التي تمتد على طولٍ ما، وعرضٍ ما، ولها تضاريسها وحدودها.

وعندما نتأمل المعنى المعجمي سنجد هذه المساحة مساحة غير خالية، مما يجعل من اختيار تسمية الحقل ليتحول من كلمة معجمية إلى جزء من مصطلح (الحقول الدلالية) ليس أمراً اعتباطياً؛ لأن الحقول الدلالية غنية بالعلاقات، وهذا يجعلنا أمام الاختيار اللغوي الهادف للتأسيس لبناء المصطلح، فالحقل في اللغة مجال عطاء، لكنه ليس عطاءً جامداً، بل عطاءً متنوعاً مستمرّاً يختلف باختلاف نوع الخير الذي يقدمه، مما استدعى تكوين معنى اصطلاحياً له، نبينه في الآتي.

¹ المنجد في اللغة والأدب والعلوم، لويس معلوف مادة(حقل).

² المعجم الوسيط، مادة (حقل).

الحقل اصطلاحاً:

للحقل عموماً مفهوم عامّ، يمثله التعريف الآتي، هو "العمود الذي تندرج ضمنه وحدات لغويّة تجمعها خصائص مشتركة، كالألوان والأمراض، والصفات وغيرها، فهو يجمع كلمات مرتبطة دلاليّاً يصنّفها ضمن لفظ عامّ في زمن محدّد لغة معيّنة محدّدة"¹.

مفهوم الدلالة:

الدلالة لغة:

وردت في (لسان العرب) تحت الجذر اللغويّ (دلّ)، وفيها: "الدليل ما يستدلّ به، والدليل: الدالّ، وقد دلّه على الطّريق يدلّه دلالة بفتح الدالّ أو كسرهما أو ضمّها، والفتح أعلى... والدليل والدليلي الذي يدلّك.. والدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها، ... أدلّة: جمع دليل"².

فالمعنى لدى ابن منظور انحصر في نطاق العلم والإرشاد، وقد جاء في القاموس المحيط ما يأتي: "الدالّة: ما تدلّ على صميمك، ودلّه عليه دلالة ودلولة، فاندلّ: سدّه إليه... وقد دلّت تدلّ، والدالّ كالهدي"³، وهذه الدلالات تنسجم مع ما أورده ابن منظور في لسان العرب، وهذا المعنى نفسه عند الزبيدي في تاج العروس لوجدناه يصرّح بالآتي:

"امرأة ذات دلّ: أي شكل تدلّ به... دللت بهذا الطّريق دلالة عرفته، ودلّلت به أدلّ دلالة، ثمّ إنّ المراد بالتّسديد إراءة الطّريق، دلّ عليه يدلّه دلالة ودلولة فاندلّ على الطّريق؛ أي: سدّه إليه... والدليل ما يستدلّ به وأيضاً الدالّ، وقيل هو المرشد، وما به الإرشاد، والجمع أدلّة وأدلّاء"⁴.

الحقل الدلاليّ:

لقد شكّلت الحقول الدلاليّة أهمية في ميدان التّأسيس لمعالجات كثيرة تستدعيها تلك الحقول، ويمكن الوقوف على مفهومه وفق الآتي:

¹ ينظر: علم اللسانيّات الحديثة، عبد القادر عبد الليل، ص 559.

² لسان العرب، ابن منظور مادة (دلّ)، 247/11.

³ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (دلّ)، ص 1000.

⁴ تاج العروس، مرتضى الزبيدي، مادة (دلّ)، 501/28.

الحقل الدلالي "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها"¹، وهذه الكلمات لها حضورها القوي في فتح المجال للتوسع الدلالي، وتعميق فاعليات الدلالات المختلفة.

والحقول الدلالية تستدعي العلاقة بين الدال والمدلول، وهي علاقة موجودة منذ الأزل، فهناك دائماً ارتباط بين هيكلية القول وصياغته، وبين ما يؤديه من دلالة.

والحقل الدلالي "قطاع متكامل من المادة اللغوية، يعبر عن مجال معين من الخبرة"²، إنه يتعلّق بالدلالة التي شاع مفهومها عند كثيرين ومنه أنه "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والشيء الثاني هو المدلول"³، والدلالة التي تتضمن فحوى لمعنى خاصّ تتعدّد وفقاً لتعدّد الألفاظ، فتكون الألفاظ التي ترتبط بعضها مع بعض حول محورها يجمعها حقل دلالي مختلف عن غيره.

ويُعرّف الحقل الدلالي أيضاً بأنه مجموعة من الوحدات اللغوية المعجمية التي تشتمل على دلالات تدرج تحت دلالة عامة يحددها الحقل العام الذي تنتمي إليه⁴، فهو "لائحة من المفردات والوحدات المعجمية التي توجد بينها ملامح دلالية مشتركة، ومن ثمّ يمكن أن تصنّف في مجال علم يجمع بينها"⁵، وهو يتقاطع مع تعريفات مختلفة للحقل الدلالي من حيث الألفاظ التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد، ومنها تعريف بيرلورا حين قال: "الحقل الدلالي هو مجموعة من الألفاظ المرتبطة فيما بينها ارتباطاً ضيقاً، ويحكمها غالباً لفظ أوحد عام"⁶.

وتشكّل الحقول الدلالية باباً واسعاً من أبواب علم الدلالة الحديثة؛ إذ يعتمد على ترابط كلمات تنتمي إلى مجموعة تتكامل إياها لإيصال المعنى، ودقّة فهمه من قبل المخاطب، وكانت هذه الحقول شاملة لكلّ موجودات الحياة المادية والمعنوية، أو ربّما التي تجمع المادّي والمعنوي معاً.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار، ص 79.

² المصدر نفسه.

³ النّص والتأويل دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي، عبد الليل منقور، ص 59.

⁴ مطبوعة علم الدلالة، شهرزاد بن يونس، ص 35.

⁵ نظرية الحقول الدلالية وتطبيقاتها في العربية، أحمد عزوز، ص 155.

⁶ الوجيز في علم الدلالة، علي مزبان، ص 45.

وتتأصل تلك العلاقات في دوائر متداخلة، مكونة بنيات النصّ المؤلّف منها، أو الخطاب المستخدمة فيه لتكوّن منظومة قيمية ودلالية مما تحقّقه من تراصف بما يُشار إليه في حدود العلاقة القائمة على التجاور، والترادف بما يعني تماثل المعنى، والتوسّع أي ما يفسّره الشرح الزائد وغير ذلك.

والدّلالة نوعان، أحدهما: الدّلالة اللفظية، والنّوع الآخر: الدّلالة غير اللفظية، فالدّلالة اللفظية تنقسم إلى ثلاثة أقسام تتمثل في: الوضعية والعقلية والطبيعية، والدّلالة غير اللفظية تتمثل في (الوضعية والعقلية)، والدّلالة الوضعية تنقسم إلى دلالة المطابقة: وهي دلالة اللفظ على تمام معناه الموضوع له، كقولك: الإنسان حيوان ناطق، ودلالة التّضمين التي تتّصل بدلالة اللفظ على جزء من المعنى الموضوع له، كقولك: الإنسان (ناطق)، وهناك دلالة الالتزام، وهي دلالة اللفظ على لازم معناه، كقولك: الإنسان عالم¹.

والدّلالة العقلية هي تلك الدّلالة "المشتملة على علاقة ذاتية بين الدالّ والمدلول"². بمعنى أنّ تفسير الدلالة لا يمكن أن تعرف بمعزل عن فهم متكامل للإشارة التي يتركها الدال في سبيل تفسيره المدلول.

ولو تأملنا مصطلح الدّلالة الطبيعية لوجدنا أنّها "الدّلالة النّاشئة عن الأصوات الصّادرة عن الحيوانات، أو الصّادرة تلقائياً عن الإنسان للإشارة على حالة نفسية أو مزاج نفسي"³. وتتعدّد أنواع الدّلالة وأنماطها، ونحن نورد أهمّها، ولا ندّعي الإحاطة بها جميعاً.

ومن الدّلالات أيضاً الدّلالة التّضمينية، وهي تلك الدّلالة التي تدور في فضاء "دلالة اللفظ على جزء معناه الذي وضع له"⁴، وهذا يجعلنا أمام سلسلة من الحلقات المتداخلة المتّصلة فيما بينها بوساطة تلاحم أجزائها.

¹ ينظر: علم الدّلالة اللغوية، عمر شاع الدين، ص 33-35.

² المصدر السابق، ص 34.

³ علم التّخاطب الإنسانيّ - دراسة لسانيّة لمناه علماء الأصول في فهم النصّ، محمد علوي، ص 189.

⁴ المناه الأصولية في الاتهاد بالرأي في التّشريع الإسلاميّ، فتحي الدزيني، ص 222.

وتختصّ الدلالة الالتزامية "بدلالة اللفظ على لازم عقليّ أو عرفيّ لمعناه"¹، فهي كلّ دلالة تحتاج إلى ملكة العقل للتأويل.

وكلّما انتمى اللفظ إلى الحقل التجريديّ، ولاسيّما حين يكون من عائلة الخصائص الفكرية يكون أكثر أهميّة في إغناء تشكيل التّصوّرات التجريدية، لكن علاقات الكلمات المتباعدة مختلفة عن علاقات الكلمات التي تنتمي إلى حقل واحد.

وبما أنّ الحقل الدلاليّ مرتبط بالمستوى الدلاليّ، فمن الطّبيعيّ أن يشمل كلّ ما تنطوي عليه اللغة من أنواع الدلالات التي تشمل المعجميّة والسّياقيّة؛ لأنّ الحقول الدلالية هي أكثر من حقل، ولكنّها تجمع الكلمات اللغويّة، وتضمّ بعضها إلى بعض في مجموعات تسير نحو محور معيّن محدّد.

وعندما نقول حقول دلالية، فنحن نتحدّث عن حقول تتعلّق بعلم الدلالة، وعلم الدلالة له أسماء كثيرة؛ إذ نجده "في اللغة الانكليزيّة Semantics، أمّا في اللغة العربيّة يسمى علم الدلالة، وتُضبط بفتح الدالّ وكسرها، كما يسمى علم المعنى، ولكن حذار من استخدام صيغة الجمع، والقول علم المعاني؛ لأنّ الأخير فرع من فروع البلاغة، وقد يطلق عليه اسم السيمانتيك، آخذاً من الكلمة الإنكليزيّة أو الفرنسيّة"²، بمعنى إن علم الدلالة يأخذ معنى السيمانتيك من وجهة التقاطع بين المعنيين، لأن ذلك يشكل "وحدة لسانية مكونة من دال ومدلول فهي أعم من الرمز اللغوي"³ وقد قال مونان إنّ الحقل الدلاليّ "نظام دلاليّ مغلق، يتكوّن من وحدات تبليغيّة ينظم هذا الحقل بكيفيّة تجعل كلّ وحدة تشترك مع الوحدات الأخرى بصيغة محدودة على الأقلّ وتقابلها بصفة على الأقلّ"⁴.

والحقل الدلاليّ يحدّد العلاقات الكامنة والقائمة بين المفردات اللغويّة التي تكتسب دلالتها من محور عامّ تنتمي إليه⁵.

¹ المناه الأصوليّة في الاتهاد بالرّأي في التّشريع الإسلاميّ، فتحي الدزيني، ص222.

² علم الدلالة، أحمد عمر، ص11.

³ مبادئ في اللسانيات، خولو الإبراهيمي، ص18.

⁴ مبادئ في اللسانيات، خولة الإبراهيمي، ص123.

⁵ ينظر: محاضرات في علم الدلالة، شهرزاد بن يونس، ص22.

ولكلّ دلالة أمد توسّعيّ، ومجال رحب لإثراء المعنى، والدليل اللسانيّ عموماً يخضع لنوعين من العلاقات: "1- علاقات مبنية على معايير صوريّة، مثل: كلمة (تعليم) فهي توحى بكلمات أخرى مشتقة منها، وتنتمي إلى نفس العلاقة الدلالية، مثل: علم، نعلم.

2- علاقة مبنية على المعايير الدلاليّة، فكلمة تعليم توحى بكلمات أخرى مثل: تربية، تعلّم، تكوين"¹.

الحقول الدلاليّة في التراث العربيّ:

شغلت الدلالة اهتمام الأدباء والنقاد والدارسين العرب كثيراً، ولاسيما في خضمّ الظروف المريرة التي تعرّض لها الوطن العربيّ على مدار العصور؛ إذ "تواجه اللغة العربيّة باستمرار تحدياً في سائر العلوم والآداب والفنون، لاختبار طواعيّتها وقدرتها على المجابهة والتعامل مع مختلف هذه الحقول، وخرجت مظفّرة في كلّ هذه الاختبارات، وقادرة على استيعاب كلّ المفردات والمصطلحات المطلوبة... وكان علم الدلالة الحديث أحد الميادين التي قبلت فيها العربيّة التحدّي، وأثبتت منذ ظهوره بصيغته الجديدة في السّنينات قدرتها الخلاقة، وثقتها العالية بنفسها"²، ولو تأملنا تراثنا العربيّ لوجدنا مقالات كثيرة، وأبحاثاً متعددة تحمل هذا المعنى.

واللغة العربيّة هي لغة الفصاحة والبلاغة، ممّا يجعلها أفقاً ثرياً لتطبيقات الخصوبة الدلاليّة والتوسّع الذي تهبه الحقول الدلاليّة المختلفة، ومن هنا جاءت الأهميّة التي تمنحها الحقول الدلاليّة للغة، والأهميّة التي تأخذها الحقول الدلاليّة من اللغة، وهل اللغة العربيّة وغيرها من اللغات إلا أفاضاً تشير إلى دلالات.

و "تبدأ نظريّة الحقول الدلاليّة في الوسط العربيّ لدى العرب مع الرّسائل اللغويّة التي كانت تجمع مفردات موجودة من الموجودات، مثل: رسائل الخيل، ورسائل النّبات... إلخ، لكن أوّل المعاجم الجامعة في هذا الفنّ كان الغريب المصنّف للقاسم بن سلام (ت224هـ) الذي يعدّ جامعاً لما دون من رسائل لغويّة سبقته في الظهور، ورسائل الأصمعيّ خاصّة"³، وهذه الرّسائل كانت

¹ نظريّة معاجم الحقول الدلاليّة وإرهاصاتها في فقه اللغة وسرّ العربيّة للتّعاليبيّ، ياسر الحسيني، الجزء الأوّل، ص5.

² علم الدلالة، أحمد مختار، ص1.

³ معاجم على الموضوعات، حسين نصار، ص21.

فحوى ملون بألوان الحقول الدلالية التي نرى لها عناوين كثيرة تُبرز فطنة العرب إلى أهميّة تأمل العلاقات التي تربط المفردات بعضها مع بعض.

ونجد محاولات أخرى مثل تصنيفات معاجم بالآلية نفسها، كالمنجز الذي قام به عبد الرحمن بن عيسى الهمداني في كتابه "الألفاظ الكتابية"، وأبو عبد الله الخطيب الإسكافي (ت421هـ) في مبادئ اللغة، وأبو منصور الثعالبي (ت429هـ) في فقه اللغة¹، وغير ذلك.

والمعاجم عموماً سبيل يوزع الباحث كثيراً من المعاناة والبحث والأخطاء، فهو يقدم المادة العلمية بطريقة سريعة وسهلة، وفقاً لتبويب المعجم ومادته اللغوية.

وهناك علاقات كثيرة تتبع في تجميع الألفاظ والقيام بتصنيفها ضمن الحقول الدلالية، (الترادف، التضمن، التضافر...) ² ومن أهمها:

1- الترادف:

احتلّ الترادف حيزاً مهماً في ماهيته وأنواعه، ولكن لم يختلف اثنان على أنّ علاقة الترادف "تعدّ من أكثر العلاقات الدلالية وقوعاً بين ألفاظ المجال الدلالي، فالدلاليون اختلفوا في تعريف الترادف؛ إذ يرون أنه يعني أن يكون لوحديتين معجميتين المعنى نفسه، والمعجميون يرون أنّ الكلمة تكون مترادفة إذا استعملت بدلاً من الكلمة الأولى"³، و "يمثل الترادف إحدى العلاقات التي تجمع الكلمات تحت مفهوم واحد في الحقل الدلالي، ويتحقّق الترادف في الحقل الدلالي حين يوجد تضمّن من الجانبين، كما في كلمة أم ووالدة"⁴، وأب ووالد، وغير ذلك من الدلالات لكلمات لها مفهوم واحد، و "يتحقّق الترادف حين يوجد تضمّن من الجانبين: يكون (أ) و (ب) مترادفين إذا كان (أ) يتضمّن (ب)، و (ب) يتضمّن (أ)، كما في كلمة (أم) و (والدة)"⁵، وأخ وشقيق.

وقد أدى التشابه الدلالي بين المفردات في الاستعمال اللغوي إلى ظهور تيارين، أحدهما: يقول بوجود الترادف، وآخر ينفيه، فتعدّد الكلمات يحيلنا على التعبير عن الدلالة الواحدة بصيغ

¹ نظرية معاجم الحقول الدلالية وإرهاصاتها، ص1/158

² ينظر: محاضرات في نظرية الحقول الدلالية والتطور الدلالي، شهرزاد بن يونس، ص56.

³ علم الدلالة عند العرب - دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة، عادل فاخوري، ص18.

⁴ علم الدلالة، ص98.

⁵ المصدر السابق، ص98.

مختلفة، فمن الرافضين ابن الأعرابي، وابن فارس، والعسكري، وممن قال بوجوده ابن خالويه والزماني، وغيرهم ممن قال بوجود الترادف الجزئي الذي يقوم على مبدأ التقارب الدلالي وليس التطابق الدلالي¹.

2- التضمن والاشتمال:

التضمن والاشتمال مصطلح يعني العموم والخصوص لدى نقادنا ودارسينا العرب منذ القدم، وهذا ما ذكره في مؤلفات كثيرة، وندرك أنه "يتحقق الاشتمال بأن يكون طرف يضم طرفاً آخر، بحيث يكون اللفظ المتضمن أعلى من اللفظ المتضمن، كما في لفظ فرس، فإنه ينتمي إلى لفظ حيوان"²، وهذا الانتماء يحمل تضمناً، فحين نقول بطّة، عصفور، سمكة، ندرك أنها تنتمي لفصيلة الحيوان الذي يضمها جميعاً.

و "الاشتمال مخالف للترادف، نظراً لأنه تضمن من طرف واحد، بحيث يكون (أ) مشتملاً على (ب) حيث يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التقريبي، مثال على هذا (فرس) الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى (حيوان)، وبهذا يكون معنى فرس متضمناً معنى حيوان، ويسمى اللفظ المتضمن في هذا التقسيم عدة مسميات اللفظ الأعم، الكلمة الرئيسية، الكلمة الغطاء، اللكسيم³ الرئيس، الكلمة المتضمنة، المصنّف"⁴، وهذا الاختلاف مع مفهوم الترادف طبيعي؛ لأن السمكة حيوان مائي، لكن ليس كل الحيوان سمكة، ولفظة حيوان تجمع الأنواع الحيوانية المختلفة.

3- التضاد:

هو مصطلح يشير إلى "الألفاظ التي تتصرف إلى معنيين متضادين، فبمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضدّ هذا المعنى إلى الذهن، لاسيما بين الألوان، فذكر البياض يستحضر في

¹ ينظر: علم الدلالة النظرية والتطبيق - الاختلاف بين المؤيدين والمخالفين، فايز الداية، 1/ 280-283.

² نظرية معالم الحقول الدلالية وإرهاصاتها، ص 167.

* اللكسيم يشرح معنى الوحدة المعجمية، حيث يفسره التحليل المؤلفاتي بأنه يفيد أن المدلول يعين انطلاقاً من مؤلفات الكلمة الأساسية أو ما يطلق عليه باللكسيم، مثال كسيم امرأة يحوي المؤلفات التالية: أنثى، بالغ،

بشر (ينظر: مدخل إلى علم الدلالة الأنسي، مورييس أبو ناصر، ص 34).

⁴ ينظر: نظرية الحقول الدلالية - مفهومها، أسسها، انتقالاتها، ص 125.

الذَّهْنُ السَّوَادُ"¹، وهذا المعنى نجد له تعريفاً آخر يتملُّ بقولهم التَّضَادُّ هو "أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعداً"²، ولو تأملنا التَّراث العربي لوجدنا التَّضَادُّ أو ما ندعوه أيضاً بالأضداد مفهوماً كثير الاستعمال، فقد وقفنا في أثناء قراءتنا على كتب كثيرة انفردت لهذا اللون من اللغة، مثل: كتاب الأضداد للأنباري الذي اشتمل على كلمات تحمل معنيين متضادين، مثل: وثب بمعنى قفز وجلس، والجون الذي يقال للأسود والأبيض، فمن كان أبيض يدعى (جوناً)، ومن كان أسود يدعى (جوناً) أيضاً.

4 - علاقة الجزء بالكل:

كل كلمة تكون جزءاً من كلمة أخرى تربطهما علاقة الجزء بالكل، وهذا الأمر يرتبط بشرط ألا يكونا من نوعين مختلفين كالاختلال، فهما يمثلان جنساً واحداً، أو نوعاً واحداً؛ أي هي علاقة الجزء الذي يُشكِّل قطعة من الكل الذي هو بعض منه.

و "علاقة الجزء بالكل مثل علاقة اليد بالجسم، العين بالرأس، والعجلة بالسيارة، والفرق بين هذه العلاقة وعلاقة الاشتمال واضح، فاليد ليست نوعاً من الجسم، ولكنها جزء منه، بخلاف الإنسان الذي هو نوع من الحيوان، وليس جزءاً منه"³.

وعلاقة الجزء بالكل تفرض على الإنسان استدعاء الكل، ومن ثم تكوين صورة مكبرة للجزء، والوقوف على هذه الصورة بعمق، وهنا يكون الوقوف واعياً؛ لأن من يدرك الكل من الطبيعي أن يعرف أجزاءه الظاهرة، أما الأمور غير المحسوسة، أو لنقل غير المدركة ظاهرياً فمن الطبيعي أن يختلف المنظور إليها باختلاف الأشخاص.

5 - علاقة التنافر:

عندما تتراءى أمامنا علاقات التنافر نجد حضور النفي في سياق ذكرها؛ لأن هذه العلاقة ترتبط بالنفي دائماً، وتتحقق داخل الحقل الواحد إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب)، و (ب) لا تشتمل على (أ)؛ أي إن الطرفين لا يشتملان على عنصر التضمن"¹.

¹ علم الدلالة النظرية والتطبيق - الاختلاف بين المؤيدين والمعارضين، 290/1.

² علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، ص 430.

³ علم الدلالة، ص 101.

ويطلق كثيرون على علاقة التناظر اسم التخالّف أو التضاد، "لأن التناظر يرتبط بفكرة النفي مثل التضاد، ويتحقق داخل الحقل الدلالي إذا كان الطرف الأول لا يشتمل على الطرف الثاني، وهو عدم التضمن من الطرفين"² فعلاقة التخالّف هي "النسبة بين معنى ومعنى آخر، ويمكن اجتماعهما مع اتّحاد المكان والزّمان؛ أي يمكن اجتماعهما معاً في شيء واحد (أكل - باع)، و (الطّول - البياض)"³، وهذا يعني أنّ الكلمات المتناظرة هي كلمات متباعدة، يحكمها قانون التّباعد الدّلاليّ، فنحن لا يمكن أن نطلق على قلم رصاص اسم قلم حبر، وعلاقات التناظر هي العلاقات التي تجمع بين الألوان والرّتب وغيرها.

والحقل الدّلاليّ الواحد يحوي كلمات متعددة تشترك فيما بينها بصفات ما، لكن "هناك صفات لكلّ كلمة تجعلها هي نفسها متناظرة فيما بينها، كما في المثال: كلمة حيوان تغطّي الحقل الدّلاليّ (فيل، قطّة، بقرة، شاة، حصان...)، فهذه الكلمات تشترك في أنّها في حقل دلاليّ واحد، ولكن بينها علاقة تناظر مثل البقرة والحصان يقومان على عدم التّضمّن، فالبقرة ليست حصاناً، والحصان ليس بقرة"⁴.

حيث نجد دقّة اختيارات الدّارسين العرب للألفاظ، وتصنيفها ووضعها تحت حقل دلاليّ محدّد؛ ولذا وجدنا لديهم رسائل بعناوين مختلفة، مثل: كتاب النّحل والعسل للشّيباني، والدّبّاب لابن الأعرابيّ، وكتاب الألفاظ لابن السّكّيت، وغير ذلك الكثير.

الحقول الدّلاليّة في الدّراسات اللّسانية الحديثة:

نظريّة الحقول الدّلاليّة نظريّة قديمة، قامت على تحليل عناصر المعنى اللغويّ، ومن روّادها "هومبلدت 1767م، وهوردر 1772 في ألمانيا، وقد استعمل تجنر مصطلح حقل في مقال له بعنوان: تقديم أفكار الحقل اللغوي 1817 م، واستعمل آبل مفهوم الحقل اللغويّ عام 1885م، إلى غير تلك الإشارات والتّلميحات"⁵.

¹ علم الدّلالة والنّظريّات الدّلاليّة الحديثة، حسام البهنساوي، ص 82.

² محاضرات في نظرية الحقول الدلالية والتطور الدلالي، شهرزاد بن يونس، ص 58.

³ علم الدّلالة، ص 106.

⁴ محاضرات في علم الدّلالة مع نصوص وتطبيقات، خليفة بوادي، ص 139-140.

⁵ نظريّة الحقول الدّلاليّة وتطبيقاتها في العربيّة، ص 155.

فالحقول الدلالية نظرية لها جذورها الأولى، وقد تعرض لها الكثير من الدارسين والفلاسفة منذ القديم، فهي لها جذراتها القديمة قدم التفكير الإنساني، ثم تطورت ونضجت على مراحل شتى حتى بلغت ما هي عليه في عصرنا الحالي.

ولو تأملنا اليونانيين لوجدنا أرسطو وهو يعطي خصوصية للدلالة والمعنى حين فرق بين الصوت والمعنى، فذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر، مميّزاً بين ثلاثة أمور هي:

أ- الأشياء في العالم الخارجي.

ب- التصورات = المعاني.

ج- الأصوات = الرموز أو الكلمات.

وكان تمييزه بين الكلام الخارجي، والكلام الموجود في العقل الأساس لمعظم نظريات المعنى في العالم الغربي خلال العصور الوسطى¹.

وعندما نقول إنها جذرات أطلقها أرسطو أو السابقون من القدماء، فهذا لا يجعلنا نفكر بأنّ الحقل الدلاليّ قديم النشأة بشكله الناضج، فهو ليس متكامل الأجزاء بوصفه نظرية خاصة لدى السابقين، لكنّ هؤلاء السابقين أثاروا مباحث كثيرة بشأنه.

ولم ينجح الحقل الدلاليّ، أو لنقل الحقول الدلالية من ضبابية، ولاسيما حين عجز كثيرون عن تمييزه عن علوم اللغة الأخرى، إلا أنّ أول إشارات هذا المفهوم كانت عام 1862م لدى ماكس مولر الذي كان من أهمّ المسهمين في وضع أسس الحقول الدلالية في كتابين له بعنواني: The Sciehce of language 1862م، The Sciehce of thought 1877م².

فالكلام والفكر متطابقان تماماً لديه، مقدّمًا فحوى كتابيه على هيئة فرضيات جمعت بين علم اللغة والتّحليل المعنويّ لمفرداتها ودلالاتها.

¹ علم الدلالة، ص 17.

² من قضايا اللغة والتّحو، أحمد عمر، ص 9.

وهناك Michel Bréal الفرنسي الذي كتب مقالاً بعنوان Essai de Semantique عام 1897م، وقد ظهر هذا المقال في طبعة إنجليزية بعد ثلاث سنين فقط، فهو أول من استعمل المصطلح (سيمانتيك) لدراسة المعنى، وصارت الكلمة مقبولة في الإنجليزية والفرنسية، ففي هذا المقال نجد اهتمام ميشيل بالألفاظ القديمة في لغات كثيرة تنتمي إلى الفصيلة الهندية الأوروبية كاللغة اليونانية والسكسكريتية واللاتينية، فكان بحثه ثورة في ميدان علم اللغة¹.

وهذا الخلاف أو ربّما الاختلاف ليس حالة من حالات الفوضى الاصطلاحية بمقدار ما كان نوعاً من أنواع اختلاف زاوية النظر.

فكل إنسان يرى وفقاً لزاوية النظر التي ينظر عن طريقها إلى الأشياء، وهذا يعمق الدلالة، لكنّه في الوقت ذاته يجعلها ميداناً خلاقياً للغات الأخرى، أو لهجات أخرى أو مستويات أخرى.

وفي أوائل القرن التاسع عشر ظهر عمل لغوي ضخم للعالم السويدي Adolf IfNoreeh بعنوان (لغتنا) خصّص قسماً كبيراً منه لدراسة المعنى مستخدماً المصطلح Semology، فكان سباقاً بنتائج وأفكاره التي عدت أساساً لكثير من النظريات التي طورها الباحثون فيما بعد، ففي دراسته نقف على الدراسة الوصفية التي عالج فيها نماذج مختلفة من السويدية الحديثة، وأخرى تُشكّل دراسة الإيتولوجية للمعنى؛ إذ تعالج تطوّر المعنى تاريخياً².

وهذه المعالجات لما حقّقه اللغات من تطوّرات جعل الدارسين يسهمون بإضاءة جوانب التطوّر الدلالي، ثم وجدوا أنّ من الحري القيام بتصنيف الدلالات وتوزيعها وفقاً لعناوين خاصّة ليعدها عن ميدان العشوائية والعبيئية.

ومن مجموع تلك المنجزات نشأ ما يُسمّى بالحقول الدلالية، ويعود شيوع هذا المصطلح بوصفه مفهوماً لغوياً إلى هوسرل، ودي سوسير، فهما يريان أنّ كلّ كلمة تحاط بشبكة من الخواطر والأفكار التي تربطها بغيرها من الكلمات³، وهذا طبيعي؛ لأنّ الكلمة لا معنى لها من دون غيرها، فارتباطها بغيرها يعطيها المعنى؛ لأنّ معانيها المعجمية متعدّدة، ولا تحقّق غرض التّواصل والإفهام، و"توّالت بعدهما الدّراسات والأبحاث، لكنّ النّظريّة لم تتبلور مادّتها إلا في

¹ من قضايا اللغة والنحو، أحمد عمر، ص9.

² علم الدلالة، ص23.

³ نظرية الحقول الدلالية وتطبيقاتها في العربية، ص156.

العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين على أيدي علماء سويسريين وألمان، ولاسيما إيسن، وجولز، وبروزج، وكانت أهم تطبيقاتها المبكرة عند تزيير في دراسته للألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة، فإنه يرجع الفضل في تشكيل وتجميع الأفكار بصورة متماسكة لهذه النظرية¹.

وهذا الأمر أسهم في تطور النظرية للألفاظ، وآلية التعامل معها، وبعد ذلك تطورت النظرية ونضجت تطبيقاتها في أماكن أخرى؛ إذ قام علماء الأنثروبولوجيا في أمريكا بتطبيقات متنوعة لهذه الفكرة، ثم تطور السيمانتيك التركيبي في فرنسا في اتجاه خاص؛ إذ ركزوا على الحقول التي تتعرض ألفاظها للتغيير².

ويبدو أن الغرب أجادوا في محاولاتهم الحديثة لخلق نظرية متكاملة تخص الحقول الدلالية، فقد أسسوا لنظرية ناضجة، وأضأوا فكاراً دلالية معاصراً في مجال البحث اللغوي.

فالجهد الغربية لم تكن الإشعاع الأول لنظرية الحقول الدلالية إنما كانت هناك الجهود العربية التي أعطت الوميض، فأضأت للغرب سبل تشكيلا لمصطلح، وكان العرب والغرب توأمين في نظرية الحقول الدلالية.

إن "النقطة النوعية في قضية الحقول الدلالية تحققت على يد العالم الألماني (تزيير) الذي صب جهده على مفردات اللغة الألمانية الخاصة بالمعرفة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وقد جعل المرحلتين موزعتين على حقلين، فوضع في حقل المرحلة الأولى الصفات الجيدة، والصفات غير الجيدة، وفي حقل المرحلة الثانية جمع الكلمات المرتبطة بالخبرة الدينية، والمعرفة، والفن³، ولو تأملنا ما سبق لما وجدنا مصطلح الحقول الدلالية، بل استعمل قوله (الحقل المعجمي، الحقل المفهومي) وغير ذلك من المفاهيم والمصطلحات.

وقد قسم أولمان الحقول إلى أنواع، وهي:

¹ نظرية الحقول الدلالية وتطبيقاتها في العربية، ص 156.

² ينظر: علم الدلالة، ص 83.

³ علم الدلالة، ص 78.

"1- الحقول المحسوسة المتّصلة: ويمثلها نظام الألوان في اللغات، فمجموعة الألوان امتداد متّصل يمكن تقسيمه بطرق مختلفة.

2- الحقول المحسوسة ذات العناصر المختلفة، ويمثلها نظام العلاقات الأسريّة، وهي أيضاً يمكن أن تصنّف وفق معايير مختلفة.

3- الحقول التجريدية: ويمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية، وهذا النوع من الحقول يعدّ أهمّ من الحقلين المحسوسين، نظراً للأهميّة الأساسيّة للغة في تكوين التّصورات التجريدية"¹.

فالحقول المحسوسة هي كلّ ما يمكن إدراكه بحواسنا من ماء وشجر وبشر وغير ذلك، أمّا الحقول التجريدية فهي كلّ أمر نتأمّله بالعقل لا بالحواس كالحبّ والكراهة. وقد نجد حقولاً منوطة بالعلاقات، وقد وضعناها تحت الأمور المحسوسة؛ لأننا لا يمكن أن نحكم عليها، فمن يلد هو الأم، ومن يعلم هو المعلم، وابنة الأخت قريبة، وابن العم قريب.

وهذه الجهود اللغوية التي برزت في التّراث الغربي جهود واضحة، وكانت ذات خطوات مدروسة، فقد أبرزت أبحاثهم ودراساتهم اصطلاحهم بالجوانب الدلالية، وهذا ما بيّنته المعاجم التي ذكرناها منذ قليل، فقد "أبدى الأوربيون اهتماماً بهذا النوع من المعاجم في القرن التاسع عشر، فظهر معجم روجيه للغة الانكليزية، ثمّ معجم دور نزيف للغة الألمانية"².

لقد فتحت هذه المعاجم أبواباً واسعة للدرس اللغويّ الحديث، وبفضل هذه المعاجم نشأت كثير من القواعد الدلالية المهمّة التي عكست تراكمات لغوية معرفية استندت إلى تراث مليء بالجدّ والإبداع والدلالات معاً.

وقد حاولوا الاستناد إلى معايير وأصول، وهذا الأمر جعل من دراساتهم ومعاجمهم ومؤلفاتهم، بل من معظم منجزاتهم أعمالاً جامعية، انتظمت فيها المنهجية التي أتاحت المجال لرؤية دلالية أكثر وضوحاً.

مبادئ النظرية :

¹ نظرية معاجم الحقول الدلالية وإرهاصاتها، 1/157.

² البحث اللغويّ عند العرب، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ص66.

اتَّفَق الدَّارِسُون عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَبَادِئِ الْعَامَّةِ لِهَذِهِ النَّظَرِيَّةِ، وَهِيَ¹:

1. لا تكون الوحدة المعجمية (Lexeme) عضواً في أكثر من حقل، بمعنى أن الكلمة الواحدة لا تأتي في حقلين أو أكثر، فهي مختصة بحقل واحد فقط.
1. لا توجد وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معيّن؛ أي أنّ الكلمة إذا كانت ذات معنى فلا بدّ أن يكون لها حقل تنتمي إليه.
2. لا يصحّ إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
3. من المستحيل دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحويّ، فالتركيب النحويّ والسياق هما اللذان يُحدّدان معنى الكلمة؛ لأنّ الكلمة تكتسب معناها من علاقاتها بما يجاورها من الكلمات.

هذه هي المبادئ والأسس التي قامت عليها نظرية الحقول الدلالية، فهي في نظرتها إلى دلالة الكلمات لا تدرسها دراسة معجمية فحسب، وإنما ترتبط بالنظرية السياقية من جهة، وبموقع الكلمة في التركيب من جهة أخرى، فالدراسات اللغوية لا يمكن الفصل التامّ بينها، فهي متكاملة مترابطة كحلقات السلسلة الواحدة.

أهمية النظرية:

1. لقد أظهرت دراسة الحقول الدلالية فوائد قيّمة ونتائج مهمّة منها²:
2. الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والاختلاف بين الكلمات التي تنضوي تحت حقل معيّن، والعلاقة بينها وبين المصطلح العامّ الذي يجمعها. فهذه النظرية توضّح العلاقات بين الكلمات، وتعالج المجموعات المترابطة، فتظهر أوجه التقابل والتشابه في الملامح داخل المجموعة.
3. إنّ توزيع الكلمات أو الألفاظ على الحقول يكشف لنا عن الفجوات المعجمية داخل الحقل، فكثيراً ما نجد كلمات ليست لها كلمة رئيسة تجمعها.

¹ علم الدلالة، ص 80 .

² علم الدلالة، ص 110 .

4. إنَّ هذه النَّظريَّةَ تمدِّنا بكلماتٍ متعدِّدةٍ لكلِّ موضوعٍ على حدةٍ، كما تمدِّنا بالتمييزات الدَّقيقة لكلِّ لفظٍ؛ ممَّا يسهِّل على الشَّخص اختيار ألفاظه الملائمة لغرضه.
5. إنَّ هذه النَّظريَّة تَضَع مفردات اللغة في شكل تجمعيٍّ تركيبِيٍّ ينفِي عنها الانعزاليَّة المزعومة.
6. إنَّ تطبيق هذه النَّظريَّة يكشف عن كثير من العموميَّات والأسس المشتركة التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها، كما يُبين أوجه الخلاف بين اللغات بهذا الخصوص.
7. من المشكلات التَّقليديَّة في المعاجم التَّمييز بين الهومونيمي¹ والبوليزيمي².
8. وقد حلَّت نظريَّة الحقول المشكلة؛ لأنَّ الكلمات المنتمية إلى حقول دلاليَّة مختلفة سوف تعالج على أنَّها كلمات منفصلة (هومونيمي) فكلمة (برتقالي) تخصَّ حقل الألوان، وكلمة (برتقال) تخصَّ حقل الفاكهة.

¹ الهونيم: ويحدث ننية تطوّر صوتيٍّ حين تود كلمتان تدلّ كلَّ منهما على معنى ثمَّ تتحدّ أصوات الكلمتين وتصبحان في النطق كلمة واحدة.

² البوليزيمي: ويحدث فيه تطوّر في الانب الدلاليّ، أي نتيجة اكتساب الكلمة لمعانٍ عديدة. (كلمة واحدة ومعانٍ متعدّدة).

الفصل الأول

الألفاظ التي تدل على أماكن تكوين الدولة في القرآن الكريم

المبحث الأول: القرية

المبحث الثاني: المدينة

المبحث الثالث: البلد

توطئة:

تحتاج الدراسة لألفاظ الدولة ضرورة التقصي لورودها في سياق النص القرآني بما يشكل الفهم المتكامل لمعنى الحكم والدولة والتروؤس وما يدخل ضمن هذا الإطار، ولذلك فإن التتبع في تقسيم هذه الألفاظ كان في الانتقال من ألفاظ القرية تليها ألفاظ المدينة ثم ألفاظ البلد.

وعلى أثر ذلك كان منهج الدراسة يقوم على عرض الألفاظ الدالة على الدولة على وفق منهج نوعي يتم فيه التدرج في الانتقال من لفظ إلى آخر بحسب وروده في القرآن الكريم.

فإذا نظرنا إلى الدلالة التي تقع عليها ألفاظ الدولة كما ظهرت في النص القرآني، فإننا سنلاحظ أنّ الألفاظ لها معنى محدد تفسر فيه شيئاً من الدلالة على معنى الدولة في النص القرآني.

فقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ تدلّ على الدولة، وذلك لأنّ الدول في ذلك الوقت كانت صغيرة محدودة من حيث المساحة والسكان، وهذه الألفاظ هي (القرية، المدينة، البلد)، و ما دلّ على هذه الألفاظ أيضاً، ومن اللافت أنّ استخدام الدولة في القرآن الكريم كان لغوياً¹، ومنه ما جاء في سورة الحشر ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾⁽²⁾، فالمتتبع لورود لفظ الدولة في السياق القرآني يلحظ أنّ كل موضع له دلالاته المختلفة عن الأخرى، فمن ألفاظ الدولة ما يدلّ على ورود ألفاظ (البلد، المدينة، القرية)، ومنها ما يدلّ على ألفاظ الدولة الإلهية وسواها من الدلالات.

كما ظهرت الألفاظ الدالة على الدولة بما يفيد الغاية من الأسلوب القصصي التوكيدي، ذلك أنّ هذه الألفاظ لا يمكن النظر إليها وفق الدلالة المعجمية فحسب، بل إن لكل مفردة من هذه المفردات الدالة على لفظ الدولة والمؤدية له وفق طريقة من الطرق، بمعنى أنّ لكل استخدام لهذه الألفاظ سياقه الخاص الذي لا يتشابه فيه مع غيره، لذلك فإنّ الوقوف عند هذه الألفاظ يتطلب معرفة بالحقل الدلالي الذي تخرج إليه المفردة في سياقها القرآني.

¹ مفهوم الدولة، عبد الله العروي، ص 33.

⁽²⁾ سورة الحشر، الآية ٧.

ولذلك سيكون تناولنا في هذا الفصل لأكثر الألفاظ وروداً ودلالة لمعنى الدولة، وأهمها (البلد، المدينة، القرية)، وإن كانت دلالة هذه الألفاظ متقاربة، إلا أنّ لكل منها سياقه الخاص، ولولا ذلك لكانت قد وردت بلفظ واحد كما نجد في السياق القرآني.

وقد شكلت ألفاظ الدولة حقلاً دلاليّاً يفضي إلى أهمية التتبع للمعاني التي تواردت في إطلاق الدلالة وراء كل لفظ كما نلاحظ في تفسيره في سياقه النصي بما يعطي الدلالة من جهة ويفسر الناحية التصويرية لهذه الألفاظ من جهة أخرى، حيث إن تعريفها لغوياً يفضي إلى أهمية الحقل الدلالية.

وقد فسرت هذه الألفاظ ماهية التروّس والحكم والأساسيات التي تكون للدولة من ناحية تنظيم شؤون العباد في ما تقتضيه الحكمة الإلهية من ذلك.

الدولة لغةً واصطلاحاً:

الدولة في اللغة "بتشديد الدال مع فتحها أو ضمها، العاقبة في المال والحرب، وقيل: الدولة، بالضم، في المال والدولة بالفتح في الحرب وقيل: هما سواء فيهما، يضمن ويفتحان، وقيل: بالضم في الآخرة، وبالفتح في الدنيا، وقيل: هما لغتان فيهما، والجمع دول ودول"¹

ومن الوجهة الاصطلاحية فإن الدولة تعني شعب مستقر على إقليم معين، وخاضع لسلطة سياسية معينة، وهذا التعريف يعترف عليه معظم الفقهاء لأنه يحتوي العناصر الرئيسية التي لا بد منها لقيام أية دولة معينة" إن الدولة دائماً مجسدة في شخص أو في أشخاص، فهي عرضة لآفات الحياة البشرية، وأي تساؤل عنها تساؤل عن مستقبلها وتطورها"²

¹ لسان العرب، ابن منظور، ٥/٣٢٨.

² مفهوم الدولة، عبد الله العروي، ص ٧.

المبحث الأول: القرية

القرية لغة:

القرية والقرية لغتان المصدر الجامع، التهذيب: المكسورة يمانية، ومن ثم اجتمعوا في جمعها على القرى فحملوها على لغة من يقول كسوة وكسا، وقيل هي القرية بفتح القاف لا غير¹

شكل المعنى اللغوي للقرية مفهوماً كان قد انطلق منه المفسرون لتفسير الألفاظ الدالة على الدولة من ناحية لفظ القرية، فقد جاء في معجم العين أنّ القرية "كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ للإقامة، وتطلق على سكان مصر وأصلها من القري، وهو الجمع يُقال: قريتُ الماءَ في الحوض، أي جمعته، وسميت قرية لاجتماع الناس فيها"².

وقد جاء في معجم لسان العرب أنّ (قرى) "القرى المبارك فيها بيت المقدس، وقيل الشام، وكان بين سبأ والشام قرى متصلة... وقول بعضهم: ما رأيت قروياً أفصح من الحجاج إنما نسبه إلى القرية التي هي مصر"³

إذا نظرنا إلى ورود لفظة (القرية) في القرآن الكريم، وجدنا أنها قد وردت بأشكال مختلفة، وكلها تدلّ على معنى (القرية)، وذلك من حيث الإفراد والتنثية والجمع، وكذلك التعريف والتنكير (قرية، القرية، قرى، القرى، القريتين، قريتك)، وقد وردت لفظة (القرية) 55 مرة في القرآن الكريم، إذ وردت لفظة قرية أول مرة في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽⁴⁾.

فقد درس المفسرون معنى (القرية) من وجهات متعددة، فقد روي عن مقاتل بن سليمان أنّ المقصود بالقرية في النص السابق في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽⁵⁾ أن تفسير قرية

¹ لسان العرب، ابن منظور، ١٧٧/٥. مادة قرى.

² العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، 5/203. مادة (قرى).

³ لسان العرب، 15/178.

⁽⁴⁾ سورة البقرة، الآية ٥٨.

⁽⁵⁾ سورة البقرة، الآية ٥٨.

يشير إلى "باب إيلياء، وذلك أنّ بني إسرائيل خرجوا مع يوشع بن نون من أرض التيه من العمران جبال أريحا، وكانوا قد أصابوا خطيئة، فأراد الله أن يغفر لهم..."⁽¹⁾، وقد فسّرت (القرية) في ما تعود إليه من أنّ المقصود بها "هو الإشارة إلى بيت المقدس"⁽²⁾، على أنّ هذه القرية قد اتفق أهلها في الصفة التي عُرفوا بها، لذلك فقد أُطلق على أهل هذه القرية (الجبارون)، من حيث اتصافهم بأنهم مقاتلون أشداء، ومنه ما أكد في قوله تعالى في سورة المائدة يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ⁽³⁾، لذلك فإنّ هذه الصفة في قوله تعالى (جبارين) عائدة إلى ما اتصف به أصل القرية التي يقصدهم الله تعالى في قوله، "لفظ القرية ما يشير إلى التضاد أو التنافر في الصفة"⁴ لذلك فإنّ معرفة معنى اللفظة (القرية) ما يتطلب تتبع أثر السياق في أكثر من نص قرآني لمعرفة الغاية التي تم فيها توجيه الخطاب القرآني لأساس فهم تنظيم الأحوال بما يخص المعنى الأساسي لمفهوم (الدولة) وما يتفرّع عنها من ألفاظ دالة عليها .

وهناك من وجد أنّ السبب في تسميتهم بـ (الجبارين)، "أنهم عظام الأجسام طوال، فيقال: نخلة جبارة، أي طويلة، والجبار: المتعظم، الممتنع من الذل والفقير"⁽⁵⁾

وعلى الخلاف من ذلك فقد يكون ذكر لفظة (القرية) ما يُشير إلى التضاد أو التنافر في الصفة التي أُطلقت على القوم العائد ذكرهم في اثناء استخدام (القرية) في سياقها، وقد يكونون من الظالمين، كما جاء في قوله تعالى في سورة النساء لَوْ مَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا⁽⁶⁾ .

(1) تفسير مقاتل بن سليمان، ١/٥١.

(2) تفسير ابن أبي حاتم، ١/٣٧٦.

(3) سورة المائدة، الآيتان ٢١-٢٢.

(4) ينظر: تفسير ابن عيثرين، ابن عيثرين، 2/167.

(5) الجامع لأحكام القرآن، ٦/١٢٦.

(6) سورة النساء، الآية ٧٥.

وقد فسّر أنّ (القرية) تدلّ على (مكة المكرمة)، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يوجّه خطابه للمؤمنين، فقد أورد صاحب (جامع البيان) أنّ الله سبحانه وتعالى قد خاطبهم قائلاً "ما لكم أيّها المؤمنون لا تقاتلون في سبيلي وفي المستضعفين منكم من الرجال والنساء والولدان، فأما من الرجال، فإنهم كانوا قد أسلموا بمكة فغلبتهم عشائريهم على أنفسهم بالقهر.. فخصّ الله المؤمنين على استنقاذهم من أيدي من قد غلبهم على أنفسهم من الكفار" (1)، بإطلاق هذه الصفة (الظلم) إنما استدلّ عليها بما اتصف به المشركون في أنهم لم يتركوا وسيلة لإيذاء المسلمين إلا وقد لجؤوا إليها، متعمدين ذلك، وقد تكون العلاقة الدلالية من نوع علاقة الجزء بالكل بمعنى أن تكون فيه اللفظ الدال على الدولة بمثابة جزء من الأشياء الدالة على الدولة كذكر اسم لبلد ومنه ما جاء يدل على أهل القرية لـ (مكة)، إذ إن لفظ القرية دال على مكة وبالتالي فإن مكة هي جزئية الدلالة من كلية الدلالة (القرية).

وفي قوله تعالى (القرية الظالم أهلها)، أي "المشرك أهلها يعني القرية التي من صفاتها أنّ أهلها مشركون، وإنما خفض الظالم لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل إلى القرية صار كأن الفعل لها" (2).

وقد يكون المقصود بـ (القرية) ما يدلّ على مكة والطائف، ومنه ما جاء في نحو قوله تعالى {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} (3)، فكما نلاحظ إنّ لفظة (القرية) جاءت بصيغة المثني لتعكس الدلالة على ذكر أكثر من منطقة (مكة، الطائف)، وقد تكون القرية في معناها الدلالي تشير إلى اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس، نحو قوله تعالى {وَإِسَاءِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} (4)، ففي قوله تعالى (وإساءل القرية) ما يلفت من الناحية الدلالية إلى أنّ هؤلاء القوم كانوا يجتمعون في مكان محدد أكدته (القرية) في قوله تعالى .

(1) جامع البيان، 7/224.

(2) معالم التنزيل، 2/250.

(3) سورة الزخرف، الآية 31.

(4) سورة يوسف، الآية 82.

وقد كان لهذه اللفظة ما لفت إلى أهمية القصاص التي جاءت مفسرة للإعجاز القرآني، فقد ذكر الله تعالى أنَّ المضرِبَ الَّذِي تَمَّ هَلَاكُهُ وَنَجِيَ مِنْهُ سَيِّدُنَا لُوطٌ - (عليه السلام) - كان قرية، وذلك في قوله تعالى {لَوْلَوْ أَنَّا نُنَبِّئُكَ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجِّنَا مِنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِيْنِكَ} (1)، كما أنَّ لفظ (القرية) قد أوضح المكان الذي ورده سيدنا موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح، إذ كان قرية، ومنه الإشارة إلى قصة سيدنا موسى (عليه السلام)، وذلك ما ورد في سورة الكهف في قوله تعالى {فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَفْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ} (2)، وهذا التفسير يعد شكلا من أنواع الحقول الدلالية التي نجدها في سياق الدال على ألفاظ الدولة ما يكون عن طريق الترادف ومن ذلك ما جاء في الأوصاف التي كانت للفظ القرية

فهذه الأوصاف تشمل ناحية الترادف، لأن الصفة الأولى الواردة في قوله تعالى (تعمل الخبائث)، عائدة إلى قوم لوط عليه السلام، لتكون الترادف لها عائد في قوله تعالى (قوم سوء)، إذ يشكل الحقل الدلالي من ناحية الترادف والتماثل الدلالي أهمية في تقريب الفكرة الحاصلة والتي تتحقق بدورها في أن فهم ذلك يقوم على أن المقصود من القرية هو الدلالة على ذلك القوم، فتساهم توضيح العلاقة الدلالية في بيان الفائدة من ذلك التوظيف.

وإن كانت (مكة) أفضل البلاد، وأحب الأرض إلى الله وإلى رسوله، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في سوق مكة "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت" (3)، وقد فسره الطبري "فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام" (4)

إلا أنَّ المفارقة حاصلة في إنَّ من أهلها من كان ظالماً، حالوا دون نشر معالم التوحيد التي أوصى بها الله نبيّه المصطفى في نشرها بين الناس، فكل قرية كان أهلها ظالمين ينسحب عليهم حكم الله، ومنه ما أورده الله تعالى في تبيان حالة المفارقة لحال القرية وانقلاب أحوالها من النعمة

(1) سورة الأنبياء، الآية ٧٤.

(2) سورة الكهف، الآية ٧٧.

(3) المسند، ٤/٣٠٥.

(4) تفسير الطبري، الطبري، 1/318.

والرغد في العيش إلى الخوف والجوع نتيجة ما فعلوه بأنفسهم من سوء الانقلاب، فقد جاءت هذه المباشرة واضحة عن طريق التدايل لأهل القرية المقصود ذكر أحوالهم في تفاوتها وانقلابها من حال لأخرى، إذ جاء ذلك في سورة النمل في قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾⁽¹⁾، فهذا الاستخدام للفظ (القرية) يضعنا أمام عدة تصورات، من أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يشير عن طريق إظهار تفاوت الأحوال وانقلابها إلى ما هم عليه، بمعنى "ليعتبروا حالهم بحال أهل القرى"².

لذلك إنَّ تحديد اللفظ الدال على معنى الدولة في النص القرآني لا يقف من الناحية الدلالية على معنى تحديد وذكر المكان العائد إليه في تحديد اسم القرية، وذكر صفات أهلها، بل إنَّ ذلك يتسع دلاليًا ليضم عدة أهداف تقوم في أكثرها على إظهار خصوصية الخطاب القرآني والإعجاز في كل ما يرد في أثناء ذلك، وفي الإشارة أيضاً إلى انقلاب الأحوال من رغد العيش، والانقلاب من الاستمرار بفعل الإيمان إلى الجوع والخوف والقلق بفعل الكفر المناقض كل التناقض للإيمان، فإنَّ ذلك يخلق لدى السامع والمتلقي نوعاً من اليقظة، وكأن في ذكر قصة أهل القرية التي ساءت أحوالهم، وجرت بهم الأمور إلى انقلاب أحوالهم ما يدخل في إطار أخذ العبرة والموعظة لما حلَّ بالأقوام السابقين المشار إليهم عبر لفظ (القرية)، ليكون المعول عليه في الفهم في قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾⁽³⁾، بمعنى أن هذه الحادثة هي مثال للتناقض و انقلاب الأحوال لمن لم يستقر على طريق الحق القويم ، فذلك هو المآل الذي سيلاقيه.

كما نجد في أثناء التضمن لهذه اللفظة ، أنها أتت في مواضع محددة بصيغة الجمع (أهل القرى)، والأمثلة على هذا الاستخدام كثيرة ، منها ما جاء في سورة الأنعام في قوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾⁽⁴⁾ .

(1) سورة النحل، الآية ١١٢.

² التحرير والتوير، محمد الطاهر، 8/201.

(3) سورة النحل، الآية ١١٢.

(4) سورة الأنعام، الآية ٩٢.

وكذلك ما نجد ما يقرب إلى هذا الاستخدام في سورة الشورى في قوله تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} (1)

فنظراً لأهمية القرية (مكة) ، فقد أُطلق عليها (أم القرى)، لأنها الأساس والأصل لكافة القرى التي عرفت، وقد أرجع تسمية مكة بأم القرى لعدة أسباب منها أنها منشأ الدين والشرع، ومنها ما روي أن الأرض منها دحيت² ولأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أنزل الكتاب المقدس على نبيِّه في هذه الأرض المقدسة، فلذلك كان التأكيد على أنَّ الإنذار والتبليغ قد انطلق من هذه الأرض المقدسة (ولتُنذِرَ أم القرى ومن حولها)، بمعنى أنَّ عليه التبليغ التي قامت على الوحي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت في هذه الأرض المقدسة و الانطلاق منها إلى كل ما حولها من المناطق والبلدان، "وقد سُميت مكة بأم القرى لأنها أصل القرى وقد دُحيت الأرض من تحتها، ويُقال : لأنها أعظم القرى شأنًا، وقيل: لأنها قبله تؤمها الناس بالصلوات إليها"⁽³⁾ .

فهنا في الآيات هذه نجد أنَّ التركيز على لفظة (القرية) قد كان لغاية الالتفات إلى أهمية الأرض المقدسة التي تم فيها بداية التبليغ للدعوة المحمدية وذلك كله بأمر من الله تعالى، والانطلاق من هذا المكان والتوسع إلى ما يجاورها من القرى والمناطق.

وفي سياق آخر نجد أنَّ في التركيز على مسمى (القرية) إنما يكون لغاية عرض أشكال الظلم التي اقترفتها الأقسام خلال ذلك، ومنه ما جاء في سورة الأعراف في أكثر من آية دالة على ذلك، ومنها ما جاء في قوله تعالى {وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} (4)، فقد أشير "إلى وصف أهلها بالظلم لأنهم كانوا مشركين"⁵

(1) سورة الشورى، الآية ٧.

(2) تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، 7/517.

(3) الجامع لأحكام القرآن، ١٦/٨٣.

(4) سورة الأعراف، الآية ٤.

(5) التفسير الكبير، محمد الرازي، 10/141.

وكذلك في قوله تعالى ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾⁽¹⁾، ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى عاكساً لظلم أهل القرية ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثْيَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾⁽²⁾، "ابتلاهم الله وامتنحهم... فكانوا يحفرون حفراً وينصبون الشباك، وعصوا الله في ظلمهم وطغيانهم"³ فهذه الآيات تعكس إنَّ أهل القرية المقصودين لذواتهم أنهم كانوا على سوية واحدة من الظلم والطغيان، فقد اتصفوا بالطغيان والاستكبار، فكانت قرى ظالمة، لأنها ظلمت نفسها بالكفر، فكان العذاب عليها حقاً.

ومن القرى التي تدلُّ على قرية (سدوم) الظالمة الكافرة بما أنعم الله عليها، وهي قرية (لوط)، ومنه ما جاء مؤكداً في قوله تعالى ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَنَاتُّونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ، وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾⁽⁴⁾. فقد اقترن ذكر قرية سدوم بأنَّ المقصود من ذلك "ونجيناه من القرية، قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث..."⁵

فقد أوردت بعض المصادر أن قرية سدوم هي قرية لوط، ومنه أن قرية (سدوم) هي قرية (لوط)، التي اتفق أهلها جميعاً إلا بعض من آمن للوط على فعل الخبائث، وهذه الخبائث كما ذكرها المفسرون كلها من المنكر"⁽⁶⁾، ليكون من آمن مع لوط ليخرجهم الله وأنجاهم من العذاب وذلك مؤكداً في قوله تعالى ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾⁽⁷⁾، ذلك أنَّ العذاب الذي حلَّ بهم "من أن الله عزَّ وجلَّ قد أنزل عليهم مطر السوء، وهي حجارة عظيمة على قدر

(1) سورة الأعراف، الآية ١٠١.

(2) سورة الأعراف، الآية ١٦٣.

³ التفسير الكبير، حمد الرازي، 8/47.

(4) سورة الأعراف، الآية ٨٠-٨٤.

⁵ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي، 1/56.

(6) جامع البيان، ١٨/٤٧٢.

(7) سورة الأنبياء، الآية ٧٤.

كل إنسان فأهلكوا بها"⁽¹⁾، وهذا الفهم من باب إطلاق لفظ القرية وعدم إيراد المعنى الحقيقي، "هذا مما جاء في اتساع الكلام والاختصار وإنما يريد أهل القرية، فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا"⁽²⁾.

وقد وردت لفظة القرية في سياق آخر، فيه التدليل على اشتراك القرية في تكذيب الرسل والكفر بهم، وذلك حتى بعد أن أكد لهم بأنهم من أرسل لهم هم من عند الله، وقد جاء ذلك في عرض صورة الأذى للقوم في سورة (يس) في قوله تعالى ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ، قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾⁽³⁾، فالمقصود بالقرية هنا هي (أنطاكية) "قرية من قرى الروم، بعث عيسى بن مريم إليها برجلين يدعوهم لعبادة الله، فكذبوهما"⁽⁴⁾.

وعن طريق تتبع الأثر السياقي لاستخدام لفظة (القرية) التي كشفت في أكثر المواضع عن أمور تتعلق بالأنبياء والرسل وما لاقوه من الأذى والهلاك أثناء القيام بمهامهم، فإننا نلمح أهمية الالتزام الأخلاقي الذي عكسه الجانب الخطابى للنص القرآني، ذلك أن النص القرآني بإعجازه وبلاغته قد عكس أهمية هذا الالتزام.

ومن اللافت أن الترادف الحاصل بين لفظتي (القرية)، (المدينة)، قد أسس الخلاف بين المفسرين في تناول هذه المسألة وإثبات الترادف اللغوي الحاصل، فمن قال بوقوع الترادف في القرآن الكريم، فلا فرق عنده بين القرية والمدينة، ومن التفسيرات حول ذلك ما جاء عن الطباطبائي في أن "استبدال القرية بالمدينة للدلالة على عظمها"⁽⁵⁾، ومنه ما يمكن استبداله بـ

(1) تفسير مقاتل بن سليمان، ٢/٤٣٨.

(2) آثار البلاد وأخبار العباد، ١/٦٠.

(3) سورة يس، الآية ١٣-١٥.

(4) تفسير مقاتل بن سليمان، ٣/٨٣.

(5) الميزان في تفسير القرآن، ١٧/٧٦.

(المدينة) نحو ما جاء في قوله تعالى ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾⁽¹⁾

فقد وجد أنه من الإرباك والحيرة في الموقع على المقصود في تحديد المكان الذي وقعت به الأحداث إن كانت في القرية أو المدينة "والحاصل أن أكثر المفسرين يتفقون بأن الظرف المكاني فيما يقصده القرآن بمصطلح (المدينة) ومصطلح (القرية) هو واحد، سواء أطلق عليه اسم القرية أو المدينة ، باعتبار أن مصداق القرية هو ذاته مصداق المدينة ، ثم تعددت آراؤهم وتباينت في التعليل لهذا الرأي.." ⁽²⁾ .

إلا أن هناك من فسّر أنّ الاختلاف بينهما عائد إلى أنّ كلمة القرية أينما وردت في القرآن الكريم فهي تدلّ على مجتمع متجانس متفق على شيء واحد (مهنة أو فكر) مثل الكفر والإيمان أو البخل ... والمدينة تدلّ على مجتمع خليط من الخير والشر أو الكفر والإيمان حسب كلام رب العالمين، ولذلك لا ينزل العذاب إلا على القرى لاجتماعهم على الكفر و الطغيان"⁽³⁾، وما يهمننا هو أنّ القرآن الكريم يذكر القرية بوصفها المكان أو المساكن والأبنية ، وقد يُعبّر بها ويقصد أهلها، وكثيراً ما تقترن في القرآن الكريم بأهلها تأكيداً للإشارة التي تدلّ عليها .

والمتأمل في القرآن الكريم يجده يعبر عن القرية بوصفها مقراً لقوم أرسل لهم رسول يدعوهم إلى عبادة الله، وتوحيده مبشراً لهم ومنذراً، هذا الاستخدام للفظ (القرية، القرى) في القرآن الكريم يقصد به الأمصار والمدن الكبيرة، وفي كل موضع لها سياق مختلف عن الأخرى بما يحمل الدلالات المتنوعة .

و كثيراً ما كان التركيز على مركزية (مكة) وأنّ الأرض كافة تتبع لها وتتبع للدعوة المحمدية، ومنه ما جاء في سورة القصص في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾⁽⁴⁾، المعنى الذي يؤكد استخدام لفظة (القرى) ما يشير إلى أنّ الخطاب موجه إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله

(1) سورة يوسف، الآية ٨٢.

(2) مصطلح المدينة من في أثناء القرآن الكريم، بحث منشور ص ١٠.

(3) ينظر: الأبعاد المكانية والوصفية للقرية والمدينة في القرآن الكريم، بحث منشور ص ٦٣.

(4) سورة القصص، الآية ٥٩.

وسلم، فما كان الله تعالى ليهلك القرى والأقوام في الزمان الذي يبعث فيه الرسول إلى مكة ليكون مرسلاً لأُم القرى ومن حولها.

وما يؤكد ذلك ما جاء في القص الذي جُسد في قوله تعالى على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قصّ عليه أنباء القرى السابقة وأقوامها ، ومنه ما جاء في سورة هود نحو قوله تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} (1) .

وقد ذُكر ما يؤيد هذه الفكرة في قوله تعالى في سورة يوسف {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (2)، وهذه الآيات تعكس عملية القص والإنباء على النبي وتثبيت أمر الوحي أثناء ذلك، كما أنّ هناك من الآيات القرآنية تعكس الالتفات إلى القرى والأقوام الذين جاءتهم رسلهم بالبينات فأعرضوا عنها منهم بنو إسرائيل، إذ أمرهم الله تعالى بدخول بيت المقدس الذي وصفه الله عز وجل في كتابه العزيز (هذه القرية)، "إضافة إلى أن في ربط بيت المقدس وهو مهبط الوحي لأبناء بني إسرائيل، ومقام دعوتهم بمكة المكرمة"³ ومنه ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} (4) .

كما أننا نلمح في توظيف هذه اللفظة أنّ السياق القرآني يعكس خاصية الأسلوب القصصي التي تنطوي على غايات وعبر يُراد أن يُؤخذ بها والاعتبار لما حلّ بالأقوام السابقة، ومنه ما حدّثنا به القرآن عن أصحاب السبب وهم من بني إسرائيل وقرينتهم، وذلك في قوله تعالى {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (5) .

(1) سورة هود، الآية ١٠٠ .

(2) سورة يوسف، الآية ١٠٩ .

³ مفهوم القرية ودلالاتها في القرآن الكريم، حازم زيود، ص 17.

(4) سورة البقرة، الآية ٥٨ .

(5) سورة الأعراف، الآية ١٦٣ .

فقد جاء في تحديد مكان القرية، على أنها قرية (أيلة)، " والمراد بالقرية كما أخرج الإمام الطبري بسنده الحسن عن عبد الله ابن عباس أنها أيلة"¹ فالسياق القرآني عكس صفة هؤلاء القوم في انحراف الفطرة وعدم اتباعهم الطرق القويمة الصحيحة التي رُسمت لهم وما كانوا ليهتدوا إليها فلاقوا العذاب الأليم نتيجة ذلك.

ومن الجدير بالذكر أنّ الفكرة الواحدة التي تتحدث عن ظلم قوم من الأقوام لأنفسهم في عدم الإيمان والخبث الذي كانوا عليه نجده في أكثر من سورة يتضمن المعنى نفسه، ومنهم قوم (لوط) فقد جاء ذكرهم كما أوردنا في سورة الأنبياء، وكذلك في سورة العنكبوت نحو قوله تعالى ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾⁽²⁾.

اللفظ	النص	السورة	الآية	الدلالة
أم القرى	وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتتذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة	الأنعام	92	مكة المكرمة
القرية	وكذلك أوحينا إليك قرآناً عريباً لتتذر أم القرى ومن حولها...	الشورى	7	
القرى	وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا	القصاص	59	

¹ تفسير الطبري، الطبري، 10/207.

⁽²⁾ سورة العنكبوت، الآية ٣٤.

مكة المكرمة	75	النساء	وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوالدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها	القرية
	31	الزخرف	وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم	القرية بين
	112	النحل	وضرب الله مثلاً بقرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف	القرية
بيت المقدس	58	البقرة	وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا... وسنزيد المحسنين	القرية
الأردن	74	الأندلس	ولوطاً أتيناها حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث	القرية
	34	العنكبوت	إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون	القرية

القرية	163	الأء راف	واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت
القرية	-13 15	يس	واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ...يكذبون
القرى	101	الأء راف	تلك القرى نقص عليك من أنبيائها ولقد جاءتهم رسلهم
القرى	100	هود	ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد
القرية	82	يوسد ف	واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وأنا لصادقون
القرى	109	يوسد ف	وما أرسلنا من قبلك إلا نوحى إليهم من اهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان...
مصر			

العلاقات الدلالية في الألفاظ الدالة على القرية:

الدلالة التي تجمع التعدد الدلالي للفظ القرية هي ما يناسب طبيعة السياق النصي الوارد.

المبحث الثاني: المدينة

يرى بعض العلماء استناداً إلى المعاجم اللغوية أنه لا يوجد فرق كبير في معنى الكلمتين، وأنهما تشيران إلى فكرة الاستقرار في مكان ما، فكلمة قرية من قررة أي استقر واجتمع، وكلمة مدينة من مدت أي أقام، وبروى أن الفرق يكمن في الاتساع، فالقرية للمكان الصغير والكبير، لكن المدينة تطلق على المكان المتسع الكبير، أما كلمة المدينة فقد أشارت إلى التنوع العرقي وحملت معنى إيجابي بينما اقترنت القرية بالمعنى السلبي كما جاء في النص القرآني في إشارة إلى ظلم وهلاك أهل القرية.

قبل أن نعرض ألفاظ المدينة كما جاء في النص القرآني، لا بد أن نشير إلى المعنى اللغوي للفظ (المدينة)، فقد جاء في معجم لسان العرب أن "مدن : مدّن بالمكان: أقام به، ومنه المدينة ، وتجمع على مدائن، ومدن بالتخفيف والتثقيف، وفلان مدن المدائن، كما يقال مصر الأمصار"¹

لقد ظهرت ألفاظ المدينة في القرآن الكريم التي فسّرت أهمية تنظيم الأمور، وعكست صفات الأقوام عن طريق ما كانوا عليه في الهدى أو الضلال ، فإنّ ظهور لفظة (المدينة) كذلك ، فقد احتلّت مساحةً كبيرة في تناول النص القرآني ، فكثيراً ما كان التركيز على شكل الدولة في المدينة التي لها حكومة معينة، وتقوم على إدارة المجتمع وتنظيم شؤون الناس والتي عكسها سياق النص القرآني أثناء ذلك، "ففي القرآن الكريم استخدام لفظة المدينة دلالة على معنى دولة عندما يسكنها قوم متميزون" (2) .

و نظراً لأهمية الدلالة التي يتركها هذا اللفظ في مجمل الدلالات السياقية التي يتركها، فقد "أثار مصطلح المدينة جدلاً معرفياً كبيراً لدى اللغويين والمفسرين والباحثين والمفكرين ، باعتبار أصله واشتقاقاته، وباعتبار تداوله في القرآن الكريم"⁽³⁾ .

وإحدى دلالات لفظة المدينة هي (المدينة المنورة) ، وقد تدل على أسماء أخرى ، ومن مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَمَّا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن

¹ لسان العرب، 13/42.

(2) ينظر : الدلالات الجغرافية لحضارة سبأ في القرآن الكريم، بحث منشور ص ٢٣٤.

(3) مصطلح المدينة من خلال القرآن الكريم، ص ١.

رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ⁽¹⁾، وقد جاء عن الطبري أنَّ المقصود بالمدينة "لم يكن لأهل المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن حولهم من الأعراب ، سكان البوادي اللذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في غزوة تبوك، وهم من أهل الإيمان به، أن يتخلفوا في أهاليهم ولا دار لهم"⁽²⁾

ومن العلاقات الدلالية للحقول الدلالية ما يكون عن طريق التضمين والاشتغال، ومن مثال هذه العلاقة ما جاء في تفسير لفظ المدينة من ناحية التوظيف الدلالي

وقد جاء أنَّ المدينة قد تكون (المدينة المنورة)، ولها عدة أسماء .. وما يُعصِدُ هذه الدلالة ويؤكد المعنى المراد قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور⁽³⁾، وحديثه صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا لمكة أو أشدَّ حباً⁽⁴⁾

إنَّ لفظ (المدينة) قد تكرر في مواضع عدة في سياق النص القرآني بما يدل على أحوال الناس ويصف هيئاتهم وأحوالهم وينظّم أمورهم إلى جانب ذلك، فالقصد من استخدام هذه اللفظة يرتكز على الأساس الذي ينطلق منه فهم معنى الدولة كما تجسّد في الخطاب القرآني، فلكل موضع ترد فيه هذه اللفظة غاية وقصد معين أراد الله سبحانه وتعالى في التدليل والإشارة ليرسّخ في ذهن المتلقي، ومن ورود هذه اللفظة ما جاء في نحو قوله تعالى في سورة الكهف ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا⁽⁵⁾، فحضور لفظ (المدينة) في الآية الكريمة يعرّز أهمية ما هو عائد إليه من ذكر (الجدار) الذي كان لليتيمين المذكورين في قوله تعالى (وأما الجدار فكان لغلامين)" والتي أشارت

(1) سورة التوبة، الآية ١٢٠.

(2) تفسير الطبري، 14/561.

(3) بحار الأنوار، 76/274.

(4) بحار الأنوار، 21/249.

(5) سورة الكهف، الآية ٨٢.

بأن الغلامين صاحبا الجدار كانا يقيمان فيها، ولا يوجد مطلقاً ما يدل على هذا المسلك أو يؤكد، بل إنّ سياق الآية والقرائن المحيطة بها ترجّح بأن المدينة المذكورة ليست هي القرية التي استنطم أهلها موسى والخضر عليهما السلام¹

وقد فسّر (الجدار) أنه "كان لغلامين يتيمين في المدينة فسماها مدينة .. فالمدينة هي صفة للجانب المادي الحضاري للتجمعات البشرية ، لذلك أتت في القرآن الكريم معرفة دائماً" (2)

ومن اللافت أنّ التقارب حاصل بين لفظتي (المدينة) و(القرية)، ومنه ما جاء في نحو قوله تعالى ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (3)، وقد تم النظر إلى تفسير (المدينة) على أنها عائدة في أساسها إلى أصحاب القرية حملوا رسالة الدعوة والتبليغ حتى وصلوا إلى المدينة مع بعدها، وهذا دليل على جهدهم وحرصهم على نشر الدعوة، فكثيراً ما ذكر القرآن الكريم القرية عندما يكون مخاطباً البشر، والمدينة عندما يكون قاصداً المكان⁴.

فالمدينة في هذا السياق تعني الإقامة، وفيها إشارة إلى أنّ الناس يقيمون فيها ، ومنه كان التعبير عن القرية بالمدينة كما ظهر في سياق الآية الكريمة السابقة ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (5) "يحصل التوهم كذلك أنّ القرية التي جاءها المرسلون هي أنطاكية وأنّ المدينة التي جاء الرجل من أقصاها لا تعدو أن تكون نفسها أنطاكية"⁶

ومن هذا التنوع في استخدام لفظتي (المدينة) و(القرية) ما جاء في نحو قوله تعالى ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (7)، فقد جاء عن ابن عاشور في التحرير والتنوير "أن دلالة

¹ القرية والمدينة، يزيد الخليف، بحث منشور ص12.

(2) ينظر : الأبعاد المكانية والوصفية للقرية والمدينة في القرآن الكريم، ص ٤٩.

(3) سورة يس، الآية ٢٠.

⁴ ينظر: القرية والمدينة، يزيد خليف، ص44.

(5) سورة يس، الآية ٢٠.

⁶ القرية والمدينة في القرآن الكريم، يزيد خليف، ص12.

(7) سورة الكهف، الآية ٧٧.

القرية تفسر مشروعية ضيافة عابر السبيل اذا نزل بأحد من الحي أو القرية⁽¹⁾، وكما جاء في تفسير الشعراوي عن القرية المشار إليها في النص القرآني "إنها قرية لنائمة، ووجد العبد الصالح في القرية جداراً يريد أن يسقط وينقض فأقامه موسى لأن عنده حفيظة على أهل القرية"⁽²⁾.

فالحديث عن (الجدار) الذي هُدمَ ، نجده فيما ذكرناه سابقاً في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾⁽³⁾، فقد فسر الشعراوي دلالة المدينة في قوله "فلا شك أن ما قام به العبد الصالح من بناء الجدار يُعد بمثابة صفة لهؤلاء اللئام تناسب ما قوبلوا به من تنكر وسوء الاستقبال"⁽⁴⁾.

فأكثر ما نجد أن لفظة (المدينة) قد وردت معرفة في كثير من المواضع ، ومنه ما جاء في نحو قوله تعالى ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾⁽⁵⁾، وكذلك في قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾⁽⁶⁾، وكذلك جاءت معرفة في قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾⁽⁷⁾ .

وقد ذكر أن المدينة هو اسم لمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أي المدينة المنورة والتي تعد خاصة بالنسبة إلى شخص الرسول الكريم، لا سيما "وأن الألف واللام في هذا الموضع تفيد الغلبة، نحو: الكتاب عندما يطلق على القرآن، فقد غلبت المدينة على مدينة رسول الله، وحكم هذه الألف واللام أنهما لا يُحذفان إلا في النداء والإضافة .. وهذه مدينة رسول الله، ولا يُحذف

(1) التحرير والتنوير، 6/17.

(2) تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، 4/2020.

(3) سورة الكهف، الآية ٨٢.

(4) تفسير الشعراوي، 14/8972.

(5) سورة الكهف، الآية ١٩.

(6) سورة يوسف، الآية ٣٠.

(7) سورة القصص، الآية ١٨.

أن في غيرهما شذوذاً.. " (1) وما جاء في هذا السياق يفسر دلالة المدينة على أنها المقصودة بهذا الكلام.

وقد يكون المراد من ذكر المدينة هو تحديد مدينة محددة تُعرف عن طريق ما تُوصف به، ومنه ما جاء في سورة يوسف (عليه السلام) في نحو قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (2)، ذلك أن المقصود بالمدينة هنا هو مصر كما جاء عن المفسرين كالماوردي "أن هذه المدينة يُراد بها : إما مصر، وإما عين شمس" (3).

ولفظة (المدينة) هنا تعود في حقلها الدلالي إلى الارتباط السياقي في تفسير المقصود من قوله (وقال نسوة في المدينة) ، "لفظ النسوة جمع قلة للمرأة من غير مادة لفظها، ولم يبين لنا التنزيل عددهن ولا أسماءهن ولا صفاتهن، لأنَّ الفائدة في العبرة محصورة في أن عملهن عمل جماعة قليلة يُعهد في العرف في مدينة كبيرة كعاصمة مصر..." (4).

في حين نجد أن المقصود بالمدينة في سورة التوبة هو ذكر (المدينة المنورة) نحو ما جاء في قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (5)

والمقصود بالمدينة هنا هو مدينة رسول الله (المدينة المنورة) ، فقد غلب إطلاق لفظ المدينة على مدينة رسول الله (ص)، "فالقوم حول المدينة من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة أيضاً أمثالهم ... ومن أهل المدنية أي قوم مردوا على النفاق من أهل المدينة كذلك" (6).

(1) الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ١١/٢٥٧.

(2) سورة يوسف، الآية ٣٠.

(3) ينظر : النكت والعيون، ٣/٣٠.

(4) تفسير المنار، 440/14.

(5) سورة التوبة، الآية ١٠١.

(6) ينظر : جامع البيان في تفسير أي القرآن، ١٤/٤٤٠.

وقد وجد بعض المفسرين أن لذكر (المدينة) ما يعود على تصنيف الناس كما ورد في السياق القرآني نحو قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَيَّ النَّفَاقِ﴾⁽¹⁾.

حيث أشار صاحب التحرير و التتوير إلى أن المدن أقرب إلى قبول الخير لبساطة طباعهم "فجعل النفاق في الأعراب نفاقاً مجرداً"، والنفاق في أهل المدينة نفاق مارد"⁽²⁾.

وقد بيّن المفسرون أن "الأعراب حول المدينة قد خلصوا للنبي وأطاعوه... فأعلم الله نبيه أن في هؤلاء منافقين، لئلا يغتر بكل من يظهر له المودة، وكانت المدينة قد أخلص أهلها للنبي (ص) وأذاعوه، فأعلمه الله أن فيهم بقية مردوا على النفاق، لأنه تأصيل فيهم .."⁽³⁾

وهذا كله ما يعكس "الرؤية الأخلاقية في القرآن في نصوصه الكثيرة والتي تضمنت ذكر صفات مهمة وقواعد ومبادئ أساسية لتنظيم حياة الإنسان من حيث علاقته بغيره، كما تبين هذه النصوص ارتباط المنهج الأخلاقي بالعقيدة والعبادة والمعاملات وغيرها"⁽⁴⁾، المعنى من ذلك إن اللفظة الدالة على الدولة في القرآن الكريم لا تقف عند مدلولها المعجمي، بل يتسع الحقل الدلالي بحسب السياق الذي يفسر معناها، فالخصوصية التي تتمتع بها اللفظة في الخطاب القرآني فريدة ومتميزة توحى للناظر فيها وحيأ يجعله يصفها في مكانة خاصة لم تنلها في غيرها من الخطابات، وبما أن الخطاب القرآني جاء موجهاً، فإن ذلك ما أدى إلى الاتساع في الحقل الدلالي للمفردة الواحدة"⁽⁵⁾.

(1) سورة التوبة، الآية ١٠١.

* فالنفاق المرد هو ذلك النوع من النفاق الذي يحمل معنى المخادعة والتكذيب، بينما النفاق المارد يزيد على معنى النفاق المرد في تفسير أنهم اعتادوا على النفاق وأقاموا عليه ولم يتوبوا. (الأعراب في القرآن، دراسة موضوعية، نور مكاوي، ص 264)

(2) التحرير و التتوير، ٧/٣٦.

(3) التحرير و التتوير، ١٠/١٩٣.

(4) الشواهد الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم ومدى تضمينها في كتب التربية الإسلامية (دراسة تحليلية)، ص

٢٦١.

(5) اتساع الدلالة المعجمية في القرآن الكريم في ضوء مجمع البيان للطبرسي، ص 429.

فالاتساع الدلالي للفظ (المدينة) يقوم على تجاوز المعنى المفهوم من (المدينة) إلى ما هو مقصود في إطار سياقها من التدايل لقوم معين في إطلاق صفة معينة عليهم ، أو قد يكون القصد تحديد مكان في بقعة معينة في الأرض ووصف أناسها خلال ذلك.

وقد يكون استخدام لفظ (المدينة) في سبيل إبراز المفارقة بين الصفات ومنه "حيث يذكر الفساد ويذكر معه الإصلاح ، وهذا يُسمّى التضاد الثنائي أو الحقيقي" ⁽¹⁾، ومنه ما جاء في نحو قوله تعالى {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} ⁽²⁾، فكما نلاحظ أنّ في ذكر لفظ (المدينة) إشارة إلى المكان الذي أفسد فيه القوم في الأرض ولم يصلحوا لأية حال، "والخلاصة من ذلك أنه حيثما جاء الفساد، جاء معه الإصلاح، وهي سنة الله في الأرض" ⁽³⁾.

وقد نجد لفظ (المدينة) بصيغة الجمع ، للاتساع في إطلاق الدلالة، ومنه ما جاء في سورة الأعراف نحو قوله تعالى {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا تَأْمُرُونَ، قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} ⁽⁴⁾. فقد دلّت لفظ (المدينة) على الدولة التي ترؤسها فرعون.

وفي سبيل تعزيز هذه الفكرة جاء اللفظ مفرداً في سورة الأعراف في قوله تعالى {قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} ⁽⁵⁾، فالمقصود بالمدينة في هذا السياق "مصر، وهذا الإيمان من السحرة قلتموه في المدينة ، ويعني أهل مصر" ⁽⁶⁾، فالآيتان السابقتان قد دلّتا على أنّ أهل المدينة والمدائن كلهم أهل حضارة، فلما أراد فرعون أن يتحدّى موسى ، لجأ إلى أهل المدائن لما يتميزون به من ترف ورفاهية ، وقد جاء في تفسير ابن أبي حاتم "أنّ في قول فرعون للسحرة ، إنّ هذا مكر مكرتموه ، أي: جرت بينكم وبينه، يقصد موسى، مواطأة في هذا لتستولوا على مصر، أي كان هذا الاتفاق

(1) ينظر: لفظ (فسد) في القرآن الكريم، بحث منشور، ص ٥.

(2) سورة النمل، الآية ٤٨.

(3) الميزان في تفسير القرآن، ١٣/٨٠.

(4) سورة الأعراف، الآية ١٠٩-١١١.

(5) سورة الأعراف، الآية ١٢٣.

(6) تفسير مقاتل بن سليمان، ١/٤٠٨.

منكم في مدينة مصر قبل أن تبرزوا إلى هذه الصحراء" (1). وقد بين السيوطي أن "فرعون قد علا في الأرض وتجبر في الأرض، حتى جعل لا يولد ولد في بني إسرائيل"²

وكثيرة هي الأمثلة في النص القرآني التي تُدلل في ذكر لفظة (المدينة) على تبيان المفارقة بين أفراد المجتمع، فمنهم المؤمنون الصالحون، ومنهم المنافقون الذي يظهرهم خلاف ما يكتُمون، ومنه ما جاء مؤكداً في تبيان اختلاف الأحوال في سورة الكهف في قوله تعالى {فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} (3)، وقد جاء في تفسير الشعراوي "فمن سيذهب منهم إلى هذه المهمة عليه أن يدخل المدينة خلسة، وأن يتلطف في الأمر حتى لا يشعر به أحد من القوم"⁽⁴⁾، كما جاء في تفسير العائد إليه لفظ (المدينة) من أن "الله قد بعث الفتية أصحاب الكهف، وقد سلط على أهل مدينتهم ملك مسلم، وسلط على الفتية الجوع، فلما أيقظهم تساءلوا بينهم كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، فردوا علم ذلك إلى الله... والمقصود بقوله: فليأتكم برزق منه، أي بطعام، ولا يُشعرن بكم أحداً، فخرج أحدهم، فرأى المعالم متتكرة حتى انتهى إلى المدينة... فقال صاحب الطعام: هات ورقك، فأخرج إليه الورق، فسأله مستكراً: من أين لك هذه الورق؟ قال: هذه ورقنا وورق أهل بلادنا، فقال: هيهات، هذه الورق منذ ثلاثمائة وتسع سنين"⁽⁵⁾، وهذا ما يدل على أن المدينة المدينة كان يسكنها المسلمون والكافرون ففيها أخلاط كثيرة من الناس. وفي قوله تعالى (فليُنظر أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) ، ما يقصد به "أحل طعاماً، لأنَّ بعض أهل تلك المدينة يذبحون للأصنام، وباسم الأوثان التي كانوا يعبدونها، فأمره بأن يأتيهم بحلال يحلُّ لهم أكله والتناول منه"⁽⁶⁾.

ومن ورود لفظة (المدينة) ما جاء في سورة الأحزاب في قوله تعالى {لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا} (7)،

(1) تفسير ابن أبي حاتم، ٥/٥١٣.

² تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، 2/118.

(3) سورة الكهف، الآية ١٩.

(4) تفسير الشعراوي، 14/8863.

(5) جامع البيان، ١٥/٢١٠.

(6) تأويلات أهل السنة، ٧/١٢٥.

(7) سورة الأحزاب، الآية ٦٠.

فالمقصود من ذكر المدينة هنا، مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنه ما جاء أيضاً في سورة المنافقون قوله تعالى {يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ} (1)، فالمقصود بالمدينة في الآيتين هي مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي الآية الأولى لقد "عدد الله أطيايف المؤذنين للنبي، والمنافقين، والذين في قلوبهم مرض ، والمُسِر الذي يظهر الحق ويضمّر الباطل - المنافق ، و المرجف الكاذب الذي يؤذي النبي بإرجافه .." (2)، أما الآية الثانية، فقد قيلت في مناسبة عند العودة من غزوة بني المصطلق، فاستنتاج الدلالة يؤكد أهمية السياق التي تدخل اللفظة في تحديده، وذلك عن طريق موضعها ضمن ذلك، وإظهار علاقاتها كافة في الترابط الحاصل في سياق الكلام.

كما أن إظهار التركيز على هذه الألفاظ كان قد فتح باباً واسعاً عند المفسرين في إقبالهم على تحديد المراد من لفظة (المدينة) و تحديد المكان العائدة إليه من ذكر قوم بعينه، والتدليل خلال ذلك على سلوكياتهم وتصرفاتهم والتي تتدرج كما نرى في التعبير عن التفاوت بين حالين (الإصلاح، الفساد).

وقد تكون (المدينة) عائدة إلى ذكر مدينة غير مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها جاء في سورة القصص في قوله تعالى { وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنَاعَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى عَلَيْهِ قَالِ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ } (3)، فقد تباينت الآراء حول المقصود من ذكر لفظ (المدينة)، وذلك من أنها مدينة الإسكندرية (4) .

وكذلك ما جاء في نحو قوله تعالى بما يؤكد العودة إلى هاتين المدينتين {وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ } (5)، وقد جاء في تفسير الرجل الذي جاء من أقصى المدينة في قوله تعالى "إن فرعون قد ركب،

(1) سورة المنافقون، الآية ٨.

(2) جامع البيان في تفسير آي القرآن، ٢٠/٣٧٢.

(3) سورة القصص، الآية ١٥.

(4) ينظر: البحر المحيط، ٨/٢٩٢.

(5) سورة القصص، الآية ٢٠.

فركب موسى في أثره، فأدركه بأرض يُقال لها منف، فدخلها نصف النهار، وقد تغلّقت أسواقها، فبينما موسى يمشي في ناحية المدينة، إذا هو برجلين يقتتلان، أحدهما فرعون قبطي (وهو من عدوه)، والآخر إسرائيلي (من شيعته)" (1).

وعلى تعدد الحقل الدلالي الذي نجده لكلمة (مدينة)، فإن ما نستشفه أن إطلاق (المدينة) فيه التديل الواضح على طبائع الناس كما جاء في النص القرآني، حيث إن المدينة في دلالتها هي مجتمع كبير تزخر بالأجناس المتعددة، والنفوس والطبائع المختلفة، حيث عكس الاستخدام للمدينة وجود الأنصار والمهاجرين وأخلاق من العرب "فلما عبّر عنها الله استخدم لفظ المدينة الدالة على الاتساع والاختلاف لا التشابه، والحضارة لا البداوة، والتعريف بـ (ال) في المدينة إنما هنا للغلبة التي هي الأصل للعهد..". (2).

وقد ترد بعض الآيات فيها ذكر صريح للفظ (المدينة) والمراد بها القرية، منه ما جاء في سورة الحجر في قوله تعالى {وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ، قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ} (3)، وقد وجد المفسرون أن المقصود بأهل المدينة هنا "قوم لوط، وهي معرفة بـ (ال) هنا عوضاً عن ضمير كأنها أهل مدينته، وذلك أنهم لما سمعوا أن ضيفاً قد ضيفه لوطاً، جاؤوا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعاً منهم في ركوب الفاحشة" (4)، وهنا لفظ المدينة أقرب إلى مفهوم (القرية)، وهذا ما يدل على أن القرية هنا كانت منقسمة فريقين: فريق مؤمن بلوط، وفريق مكذب معتد فاعل للمنكرات، "قلماً كان الأمر كذلك وفيها الفريقان سميت مدينة، فلما قضى الله على هلاك الظالمين المجرمين وأمر الملائكة بإخراج من فيها من المؤمنين، وحق القول على المجرمين سماها قرية..". (5).

فمعنى المدينة قد ارتبط بسياق حال الآية والسورة معاً، وهو ما يدل على الإعجاز القرآني في الوقت نفسه، ففي قوله تعالى في سورة النمل {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

(1) تفسير ابن أبي حاتم، ٩/٧٩٣.

(2) ينظر: القرية والمدينة في القرآن الكريم، ص ٢٧.

(3) سورة الحجر، الآيتان ٦٧-٦٨.

(4) جامع البيان، ١٧/١١٧.

(5) القرية والمدينة في القرآن الكريم، ص ٢٨.

وَلَا يُصَلِحُونَ} (1)، فقد جاء في تفسير ذلك أن "الله سبحانه وتعالى قد قصد مدينة ثمود وقريتهم هي الحجر" (2) .

كما أن إتيان لفظة (المدينة) قد وردت في أماكن كثيرة بصيغة الجمع (مدائن) ، فقد وردت بما يُشير إلى مكان بعيد عن مركز الأحداث، وذلك في قصة موسى مع فرعون ، حين أُرسِل فرعون في طلب السحرة من جميع المدن، ومنه ما جاء في قوله تعالى في سورة الشعراء {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} (3)، وكذلك قوله تعالى {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} (4) .

وقد وجد المفسرون أن تسمية (مكة) بالقرية و(يثرب) بالمدينة تمثلاً لما جاء في قوله تعالى {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ} (5)، المعنى أن المدينة هي البلدة التي يسكنها أشخاص ليسوا من نسيج اجتماعي واحد، وهي أكبر من القرية مساحة ، ومنه ما أورده الكيالي "انظر كيف سمى القرآن (مكة) قرية ، وهي أكبر من (يثرب) التي صار اسمها (المدينة) ، ولا تفسير لهذه التسمية كما يشير الكيالي إلا لأن سكان مكة كلهم من قريش وكلهم مشركون ، أي من نسيج اجتماعي واحد، أما (يثرب) ، فقد أطلق عليها القرآن اسم (المدينة) لأن سكانها مختلفون في الدين والنسب ، ففيها النبي وأصحابه المؤمنون، وفيها المنافقون، وفيها اليهود ... " (6) .

فهناك مواضع محددة كما ظهرت في سياق النص القرآني بما يدل على أهل المدينة وسكانها المقيمين فيها، ومنه ما جاء في نحو قوله تعالى {وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي

(1) سورة النمل، الآية ٤٨ .

(2) فتح القدير، ١١/٣١٦ .

(3) سورة الشعراء، الآية ٣٦ .

(4) سورة الشعراء، الآية ٥٣ .

(5) سورة التوبة، الآية ١٢٠ .

(6) ينظر : فتح القدير، ١١/٢١٥ .

الْمَدِينَةِ⁽¹⁾، وكذلك ما جاء عائداً في ذكر المدينة إلى فئة من الناس في قوله تعالى { يَفْؤُلُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ⁽²⁾

وما يهمننا في البحث عن الألفاظ المؤدية لمعنى الدولة في القرآن الكريم أنّ التركيز في التدليل على ما قدّمه المفسرون من الغاية التي خرج اليها الخطاب القرآني في الاستعمال لهذه الألفاظ هو أنّ السياق تتبع أهميته من الاهتمام بالنص القرآني الكريم لأنّ "معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها أو تحريرها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"⁽³⁾، فلا يمكننا أن نقع على دلالة متكاملة للفظ (المدينة) ما لم نقرن ذلك بسياقها، وكثيراً ما يتطلب ذلك تتبع سياقها في ارتباطها بما قبلها والذي كثيراً ما يفسّر معناها ويكمّله "فلكل لفظة موضعها في السياق القرآني، بحسب السياق والمقام والخطاب"⁽⁴⁾.

كما أنّ عدم ذكر القرآن الكريم للدولة بمعناها المعروف ، لا يعني أنه خلا من الإشارة إليها، ولكن تمت الإشارة إليها بصورة غير مباشرة ، "فالقرآن الكريم أشار إلى الجزء وهي السلطة للدلالة على الكل التي هي الدولة ، هذا بالإضافة إلى ذكره العديد من الألفاظ التي تدل بحسب مجموعة المفكرين الإسلاميين على الدولة كلفظة القرية والبلد والمدينة"⁽⁵⁾، وما ذكرناه فيما ورد في استخدام لفظ (المدينة) أكبر دليل على هذا الاتساع الدلالي الذي يرتبط بمفهوم الدولة القائمة على مفهوم الولاية والسلطة وتنظيم الأحوال والأمور وعرض العبرة من القصص التي كانت لأهل المدينة على تعدد مرجعياتها العائدة إليها.

(1) سورة الأحزاب، الآية ٦٠.

(2) سورة المنافقون، الآية ٨.

(3) السياق ودلالته في توجيه المعنى، ص ٥٥.

(4) أبنية الأسماء من الجذر اللغوي (شكر) في القرآن الكريم، دراسة دلالية سياقية، دراسة دلالية سياقية، ص

٣٤٣.

(5) إشكالية الأمة والدولة، ص ٣٥٣.

اللفظ	النص	السورة	الآية	الدلالة
المدينة	إما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار	التوبة	120	المدينة المنورة
المدينة	وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم	التوبة	101	المدينة المنورة
المدينة	ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله	التوبة	120	المدينة المنورة
المدينة	وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما...صبرا	الكهف	82	المدينة المنورة
المدينة	وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين	يس	20	مصر
المدينة	فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة	الكهف	19	مصر
المدينة	وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها...ضلال مبین	يوسف	30	مصر

مصر	48	النمل	وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون	المدينة
	109-111	الأعراف	قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ، قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ	المدينة
	123	الأعراف	قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	المدينة
	15	القصص	ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين... إنه عدو مضل مبين	المدينة
	-67-68	الحجر	وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون	المدينة
مكة	60	الأحزاب	لسن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا	المدينة
	8	المنافقون	يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل	المدينة
الحجاز	176	الشعراء	"كذب أصحاب الأيكة المرسلين"	ما يدل على المدينة

الأحقاف	121	الأحقاف	واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم	ما يدل على المدينة
---------	-----	---------	---	-----------------------

العلامات الدلالية في الألفاظ الدالة على المدينة

ويوجد اشتراك لفظي حيث تُطلق مفردة المدينة على دلالات مختلفة، المعنى من ذلك أن هناك سياقات نصية تعزى إلى دلالة مغايرة في كل مرة يرد فيها لفظ المدينة، أي أن المدينة ومعناها ليس واحداً في النص القرآني.

المبحث الثالث: البلد

إنَّ أول ما يُنظر إليه في معنى دلالة لفظة البلد ما يكون في المعنى اللغوي (المعجم) فقد جاء في معجم لسان العرب أن 'بَلَدٌ، البلدة، والبلد: كل موضع أو قطعة مستحيزة، عامرة كانت أو غير عامرة'⁽¹⁾، وبالنسبة للمعنى السياقي الذي شكلته لفظة البلد في النص القرآني كان قد انطلق من تفسير المفسرين في ما سنعرض له في ما جاء منعكساً في النص القرآني.

حيث لا يقتصر لفظ (البلد) في الدلالة على المعنى الذي يقرب إلى الدلالة على الدولة كما ظهرت في النص القرآني، ومن الألفاظ الواضحة الصريحة للفظ (البلد) ما جاء في نحو قوله تعالى {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} ⁽²⁾، فذكر (البلد) في هذا السياق ما يشير إلى التنويه إلى البلد الحرام، وبيان حال الإنسان في هذه الدنيا، وقد جاء في تفسير القسم ب (البلد) أنه الله سبحانه وتعالى قد ختم الكلام قبل أن يقسم بهذا البلد بالحديث عن الجنة والتي هي أفضل الأماكن التي يسكنها الخلق من أصحاب النفوس المطمئنة، وكان الافتتاح بالقسم بأعظم وأشرف البلاد (مكة)، "لما ختم كلمات الفجر بالجنة التي هي أفضل الأماكن التي يسكنها الحلق، لاسيما المضافة إلى اسمه الأخص.. بعد ما ختم آياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الأمانة التي وقعت في كبد الندم افتتح هذه بالأمانة مقسماً في أمرها بأعظم البلاد وأشرف أولي الأنفس المطمئنة"⁽³⁾.

وما يدعو إلى الانتباه أن لفظة (البلد) لا يمكن أن نقف عند دلالتها المعجمية فحسب، بل لا بد أن ننظر إلى السياق الذي يُحدّد معناها الدلالي ويُسكّل حقلها الدلالي، فالسياق يدعو إلى هذا التتبع للفهم المراد من القسم الحاصل، وفي قوله تعالى { وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ } ⁽⁴⁾، فقد وجد أن المراد بالبلد هو مكة، ولكنهم اختلفوا في تأويل دلالة (حِلٌّ)، فقد ورد أنه في اللغة "حلّ من إجماعه يحلّ حِلًّا بالكسر والحل، بالكسر: ما جاوز الحَرَمَ. ورجُلٌ مُحِلٌّ: منتهكٌ للحرام، أو لا يرى

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة(بلد)2/139.

(2) سورة البلد، الآية ٢، ١.

(3) نظم الدرر، ٢٢/٤٦.

(4) سورة البلد، الآية ٢.

لشهر الحرام حُرْمَةً" (1)، وقد أورد البغوي أنّ دلالة (حل) بعد القسم بالبلد "وأنت حل، أي حلال، بهذا البلد، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم أحلّ الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح، حتى قاتل وقتل و... والمعنى: أنّ الله تعالى لما أقسم بمكة دلّ ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها، فوعد نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أنه يحلّها له حتى يقاتل فيها.. (2).

والأمثلة في النص القرآني شاهدة على تأكيد الإشارة إلى البلد (مكة) المقسم به في قوله تعالى والذي يعود إلى عدد من الدلالات والمعاني التي تهدف إلى تعزيز أثرها في نفس الجماعة في أهمية ما أقسم الله به، فإنّبات القسم يؤكد أيضاً ما جاء باللفظ الصريح لـ (البلد) في نحو قوله تعالى {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} (3)، وقد كرّر ذلك في الإشارة إلى بلد (مكة) للإشارة إلى أنّ ذلك حاضر في أذهان السامعين، ومنه ما جاء في نحو قوله تعالى {إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ} (4)، ذلك أنّ تفسير البلد دلاليّاً هو ما يفهم من أنه كل قطعة من الأرض، والمراد بها في قوله تعالى البلد الحرام (مكة المكرمة)، أم القرى، فقد أجمع المفسرون على أنّ ذلك البلد هي مكة " بلد بالمكان إذا أقام فيه ولزمه والمراد بالبلد في الآية الكريمة مكة" (5)، وأعلم أنّ فضل مكة معروف.. فقد أقسم سبحانه بالبلد الحرام أعني مكة، فإنه المراد بالمشار إليه بالإجماع" (6).

وهناك من ذكر أنّ السبب في وصف البلد في سورة التين بالأمين، وعدم وصفه به "لم يصفه بالأمين، لأنه لا يُناسب سياق المشقة بخلاف ما في التين، فإنّ المراد به الكمالات" (7).

وللتخصيص فقد أشار الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة إلى (البلد) باسم الإشارة هذا تمييزاً لهذا البلد الشريف وتنويهاً بشأنه وأهميته "فالإشارة بـ (هذا) مع بيانه بالبلد، إشارة إلى حاضر في

(1) لسان العرب، ١٢/٥٧.

(2) معالم التنزيل، ٥/٢٥٤.

(3) سورة التين، الآية ٣.

(4) سورة النمل، الآية ٩١.

(5) المفردات في غريب القرآن، 2/123.

(6) روح المعاني، ١٥/٣٤٩.

(7) نظم الدرر، ٢٢/٤٦.

أذهان السامعين كأنهم يرونه لأنَّ رؤيته متكررة لهم وهو بلد مكة ... وفائدة الإتيان باسم الإشارة تمييز المقسم به أكمل تمييز لقصد التتويه به⁽¹⁾ .

ومن الألفاظ الدالة على (البلد) كما جاء في النص القرآني، ما جاء في نحو قوله تعالى ﴿وَأَذِّقْ لَإِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾⁽²⁾، فذكر لفظة (البلد) في الآية الكريمة ما يدلُّ على أنَّ المعنى يستلزم التتبع لما ورد قبل هذا الكلام ، فإذا كان القسم بالبلد ، ففي قوله تعالى ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾⁽³⁾، ما يدلُّ على العطف على الإقسام بالبلد، وقد فسّر ظهور هذه اللفظة في أنَّ السياق الذي ترد فيه هو الذي يُحدّد المقصود منها، فإذا كان القسم بـ (البلد) كما ذكر المراد به التذليل على (مكة)، "فإنَّ الآيتين السابقتين فيهما حديث عن البلد وقسم به، وهذا البلد هو مكة التي هي أم القرى ، فناسب أن يكون المراد بالوالد هنا آدم ((عليه السلام))، الذي هو أبو البشر ، فكأنه سبحانه أقسم بأصول الموجودات وفروعها"⁽⁴⁾ .

ومن جهة أخرى، فإنَّ القسم بهذا البلد، قد رجّح المفسرون "أن يكون المراد بالوالد إبراهيم (عليه السلام)، فإنه الذي اتخذ البلد لإقامة ولده إسماعيل وزوجه هاجر .."⁽⁵⁾

المعنى من ذلك إنَّ التركيز على الحقل الدلالي الذي يؤكد تجاوز المفردة لدلالاتها المعجمية إلى ضرورة النظر إليها ضمن سياقها النصي ، فلفظة (البلد) كما نجد في قوله تعالى ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾⁽⁶⁾، ما يتقاطع مع البلد المقسم به في الآية الأولى "وذلك أنَّ المراد بالوالد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والمراد بما ولد محمد صلى الله عليه وسلم، فكأنه عزَّ وجلَّ أقسم بمكة وإبراهيم بانيها، وإسماعيل ومحمد عليهما السلام سكانها"⁽⁷⁾ .

(1) التحرير و التتوير ، ٣٠/٣٤٦ .

(2) سورة إبراهيم، الآية ٣٥ .

(3) سورة البلد، الآية ٣ .

(4) ينظر: أضواء البيان ، ٨/٥٣١ .

(5) ينظر : التحرير و التتوير ، ٣٠/٣٤٩ .

(6) سورة البقرة، الآية ١٢٦ .

(7) مفاتيح الغيب ، ٣١/١٦٥ .

فالقرآن الكريم قد تضمنت ألفاظه ذكر الألفاظ الدالة على الدولة، "حيث أشار إلى الجزء وهي السلطة للدلالة على الكل التي هي الدولة، هذا بالإضافة إلى ذكره للعديد من الألفاظ التي تدل بحسب بعض المفكرين الإسلاميين على الدولة كلفظة القرية والبلد"⁽¹⁾.

ومن ورود لفظة (البلد) ما جاء في ذكر منطقة (سبأ) نحو قوله تعالى {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} ⁽²⁾، فقد تناول المفسرون هذه اللفظة بما أوحى به في سياقها من أن "البلدة الطيبة، فالبلدة من حيث المدلول الجغرافي بمثابة وحدة إدارية من تقسيم الدولة، حيث أشار القرآن الكريم إلى هذا الجزء أرض اليمن سبأ وتمثلها محافظة مأرب ووصفها بالطيبة إضافة إلى خصائصها الجغرافية المكانية، فإنّ تغير في عقيدة ملكة سبأ مع قومها وإسلامهم وترك عبادة آلهة الشمس كانت إحدى الأسباب التي خلّدت ذكر سبأ في القرآن الكريم.."⁽³⁾، حيث يعكس هذا اللفظ (البلدة) أهمية عنصر المكان في حياة الإنسان، فهذا التحديد للمنطقة (سبأ) يعكس أهمية المكان ودلالاته فيما تضمنته القصة القرآنية.

ومن جهة أخرى، فإنّ هذا الاستخدام لهذه اللفظة (بلدة) يعكس دقة القرآن الكريم في انتقاء الكلمات لغوياً، "فالمقصود (بالبلدة) هو المكان المخصص أو الجزء الذي يشغل حيزاً من أرض معينة، بينما البلد تعني جنس المكان مثل العراق وسوريا"⁽⁴⁾، وهي علاقة جزء بكل

حيث إنّ المقصود (بالبلدة) الطيبة في الآية الكريمة هو مدينة سبأ (مأرب) الجزء المخصص من أرض اليمن، أي ما أطلق عليه بالمفهوم الجغرافي وحدة إدارية من تقسيم الدولة...⁽⁵⁾ وقد سميت سورة سبأ "لأن الله تعالى ذكر فيها قصة سبأ وهم ملوك اليمن"⁶

(1) إشكالية الأمة والدولة، ص ٣٥٣.

(2) سورة سبأ، الآية ١٥.

(3) الدلالات الجغرافية لحضارة سبأ في القرآن الكريم، ص ٢٣١.

(4) أطلس الأماكن في القرآن الكريم، ص ٥٢.

(5) ينظر: الحضارة السبئية في سورة سبأ، ص ٣٦.

⁶ الحضارة السبئية في سورة سبأ، محمد بلعربي، ص 38.

فالدلالة لذكر (بلدة الطيبة) ما يتطابق في وصف (سبأ) بهذا الوصف، "ولهذا عندما جاء وصف سبأ بالبلدة الطيبة في القرآن الكريم، بسبب حصول تغير في العقيدة من قبل ملكة سبأ وسكانها"⁽¹⁾.

وقد يعكس استخدام هذه اللفظة (البلد) الخطاب التوجيهي المقصود، ومنه ما جاء في لفظة (البلاد) العائدة إلى ذكر (إرم ذات العماد).

وذلك في نحو ما جاء في قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرْمَ دَاثِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ}⁽²⁾، فالمقصود بها مملكة قوم عاد وهي دالة على اسم الدولة، فإذا عدنا إلى المناسبة التي قيلت لأجلها هذه الآية الكريمة فإنها "خطاب من الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتنبية للكفار في زمنه على العقوبة التي حلت بالأمم الماضية التي استحقتها لما كفرت بوحداية الله، وهو إعلام منه تعالى لهم بكيفية إهلاكهم"⁽³⁾.

ووفقاً لذلك ، فإنَّ (البلاد) عائدة إلى (إرم ذات العماد) و(عاد) ، وكثيراً ما اختلف المفسرون فيما إذا كانت (إرم) قبيلة أو مدينة ، فقد تفاوتت الآراء في كونها مدينة، "ومع أننا نميل إلى أنَّ إرم قبيلة لا مدينة، أثبتنا في هذا الموضوع لكثرة من قال أنها مدينة ، وجب ميلنا إلى أنها قبيلة لا مدينة وذلك أنَّ النصَّ القرآني ذكَّر بعاد وبنى عليها أخباره عنها وأوصافه لها ، وأنَّ أي ضمير لا بدَّ أن يكون عائداً لها ، وإلاَّ وجب لعود الضمير على غيرها قرينة لفظية أو معنوية لم نلمسها في النص، وأنَّ الاختلاف في تحديد موضعها يرجع كونها قبيلة والظاهر أنهم هم أهل الأحقاف"⁽⁴⁾، إذ شكَّ المعنى اللغوي للفظه الأحقاف ما يدل على لفظ البلد، فقد جاء في معجم لسان العرب أن الأحقاف "هو اعوجَّ من الرمل واستطال وفي قوله تعالى ((إذا أنذر قومه بالأحقاف)) فقيل هي من الرمال ، أي أنذرهم هنالك... وهي ديار عاد"⁽⁵⁾، وقد ذُكرت في القرآن إشارة إلى الموضع الذي أنذر فيه النبي هود (عليه السلام) قومه.

(1) الدلالات الجغرافية لحضارة سبأ في القرآن الكريم، ص ٢٤٠.

(2) سورة الفجر، الآيات ٦،٧،٨.

(3) التبيان في تفسير القرآن، ١٠/٣٤٢.

(4) المرجع السابق، ١٠/٣٤٢.

⁵ لسان العرب، 9/52.

فقد اختلف في تفسير الآية الكريمة، "فَقِيلَ إِنَّ إِرْمَ عَطَفَ بِيَانِ لِعَادِ الْمَصْرُوفَةِ وَعَطَفَ الْبِيَانِ هَذَا إِذْ بَانَ وَتَنَبَّيَهُ بِأَنَّهُمْ عَادَ الْأَوْلَى الْقَدِيمَةَ، وَقِيلَ إِرْمَ بِلَدْتِهِمْ وَأَرْضَهُمَ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ بَعْضِ الْقُرْآنِ بَعَادَ إِرْمَ عَلَى الْإِضَافَةِ ... (1)".

وقد يكون الاستخدام لألفاظ البلد عن طريق ذكر ما يدل على البلد دون تصريح بلفظ (البلد) ، ومنه ما جاء في نحو قوله تعالى {كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ} (2)، وكذلك ما جاء في قوله تعالى {وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ} (3)، فالآيات الكريمة هذه تتحدث عن الأمم السابقة وما حلَّ بهم نتيجة كفرهم وطغيانهم، وقد ذُكر أنَّ "الأيكة اسم بلد بين الحجاز والشام" (4).

وهناك من ذهب إلى أنَّ الأيكة ليست بلداً، وبعضهم رأى أنَّ الأيكة البلاد كلها، "ومما يؤيد ذلك استعمال التعبير القرآني عبارة أصحاب الأيكة للدلالة على فعل الكفرة المشين، "حيث قال أهل العلم: إنَّ أصحاب الأيكة هم مدين" (5)، ولعلَّ استعمال القرآن لعبارة أصحاب الأيكة في تسميتهم إشارة إلى النعم التي أعطاه الله لهم ، ولكنهم استبدلوا الشكر بالكفر، فأقاموا صرح الظلم والاستبدال، فحقت عليهم كلمة الله فأهلكوا بالصاعقة.. (6) .

وكثيرة هي الألفاظ التي تدلُّ على لفظة (البلد) ، وإن كان المفسرون قد تباينت آراؤهم حول فيما إذا كانت تمثل بلداً معيناً أو مدينة محددة في بقعة معينة من الأرض. وما يهمنا أنَّ الحقل الدلالي للفظ يرتكز على السياق المتشكّل له.

المعنى الذي نستشفه من الألفاظ الدالة على الدولة في القرآن الكريم المتعلقة بذكر لفظة (البلد) ليس بالضرورة أن تكون باللفظ الصريح كما نجد إنَّ هناك ألفاظاً واردة تدلُّ على ذكر البلد وإن لم يُصرَّح بها ، ومنه ما جاء في نحو قوله تعالى: {وَإِذْ ذُكِرَ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

(1) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ٤/٢٥٠.

(2) سورة الشعراء، الآية ١٧٦.

(3) سورة الحجر، الآية ٧٨.

(4) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٨/١٠١.

(5) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 6/96.

(6) معجم البلدان، ١/٢٩١.

عَظِيمٍ} (1)، فالخطاب في هذا النص موجّه إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من التذكير للقوم المنكرين للرسالة وقد ذهب من المفسرين إلى أنّ الأحقاف "اسم البلد الذي سكنه قوم عاد، فالأحقاف مسكن قوم عاد والمتيقن أنه في جنوب جزيرة العرب.. (2)، كما ورد أنها قد تكون من مساكن الأمة في أرض اليمن، ومنهم من عدّها في أرض العراق أو الشام (3) .

و للاختلاف في تفسيرها، فقد تنوّع الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه هذه اللفظة إن كانت عائدة إلى ذكر البلد أو أنها تعني "الرمال، وكانت بلادهم، أي بلاد عاد أخصب بلاد فردّها الله صحارى بالأحقاف" (4)، وبذلك إنّ الآراء بشأن هذه اللفظة متواترة في عدّها بلداً أو أنها عبارة عن منطقة الرمال والقحط، نظراً لسوء المآل الذي ناله هؤلاء لتبدّل أحوالهم وعدم اهتدائهم إلى طريق الحق والصواب .

ومن ألفاظ (البلد) الواردة في القرآن الكريم ما جاء في سورة الأعراف نحو قوله تعالى { وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبْتُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} (5)، فذكر (البلد) في هذا السياق ما يُشير إلى أهمية الأرض النقية إذا نزل عليها المطر فتخرج نباتاً بإذن الله ومشيتته، وكذلك المؤمن إذا نزلت عليه آيات الله انتفع بها ، ف (البلد) هنا تبدو حالها بحال الناس ، فتكون كذلك الأرض رديئة، لا تخرج نباتاً إلا رديئاً لا نفع فيه ، ولا تخرج نباتاً طيباً وكذلك حال الكافر بآيات الله ، المعنى الذي يؤكد أن قوله تعالى (البلد الطيب) إشارة إلى كل بلد قد صلحت أحوال الناس فيه بهدايتهم وتقاهم كما الأرض الطيبة، وكذلك فإنّ الطرف المناقض لها لا يجني إلا العبث والقحط واليباس "والبلد الطيب ، أي : طيب التربة والمادة ، إذا نزل عليه مطر (يخرج نباته) الذي هو مستعد له (بإذن ربه) ، أي: بإرادة الله ومشيتته ...

(1) سورة الأحقاف، الآية ٢١.

(2) الميزان في تفسير القرآن، ٨/١٨١.

(3) ينظر: الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦/٢٨٣.

(4) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، ٢/٤١٨.

(5) سورة الأعراف، الآية ٥٨.

(والذي حَبِثَ) من الأراضي (لا يخرج إلا نكداً)، أي: إلا نباتاً خاساً، لا نفع فيه ولا بركة... " (1).
ومن لفظ (البلد) ما جاء في سورة النمل في قوله تعالى {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ
الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (2)، فقد فسرت لفظة (البلدة) بأنها
عائدة الى مكة المكرمة التي أنعم الله على أهلها، وقد جاء في تفسير البغوي أن " (إنما أمرت)
يقول الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم - قل إنما أمرت (أن أعبد رب هذه البلدة) يعني مكة
(الذي حرّمها) جعلها حرماً آمناً، لا يُسْفِك فيها دم إنسان، ولا يُظلم فيها أحد، ولا يُصَاد صيدها،
ولا يختلى خلاها.. وذلك من النعم على قريش... " (3) .

ما سنورده في هذا الجدول يعد إحصاء لما تناولناه من رصد لألفاظ قد تناولت لفظة البلد في
مواضع معينة.

اللفظ	النص	السورة	الآية	الدلالة
البلد	"لا أقسم بهذا البلد"	البلد	1	مكة المكرمة
	"وأنت حل بهذا البلد"	البلد	2	
	"إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة"	النمل	91	
	وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمناً وأجنّبي وبنّي أن نعبد الأصنام"	ابراهيم	35	
	"رب اجعل هذا بلداً آمناً"	ابراهيم	35	

(1) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦/٢٨٣.

(2) سورة النمل، الآية ٩١.

(3) معالم التنزيل، ٢/٥٨.

	91	النمل	إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة التي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين	
سبأ	15	سبأ	لقد كان لبساً في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور"	البلد
عاد	-6 8-7	الفجر	"ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد"	البلد
البلد هو كل بلد طيب	58	الأعراف	والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون	البلد

العلامات الدلالية في الألفاظ الدالة على البلد:

هناك علاقات كثيرة منها علاقة الجزء بالكل كالبلد والبلدة وكذلك علاقة العموم والخصوص
البلد والبلاد وهناك دلالات أخرى كالوصف والتخصيص، بمعنى كل لفظ له علاقة بما يشكل
مفهوم الدال على البلد سواء بشكل صريح أو مؤول.

عدد ورود الألفاظ الدالة على الدولة في القرآن الكريم:

العدد	اللفظ
55	القرية
19	البلد

١٤	المدينة
----	---------

الفصل الثاني

الألفاظ التي ذكرت أسماء الدول في القرآن الكريم

المبحث الاول: الأسماء الصريحة

المبحث الثاني: الأسماء غير الصريحة

إذا تتبعنا السياق النصي للقرآن الكريم فيما يخص الألفاظ التي ذُكرت دالة على أسماء الدولة، فإننا نجد أنَّ الاستعمال كان في المعنى اللغوي وليس الاصطلاحي، فقد جاءت في قوله تعالى بما يُشير الى التداول المشتقة من الدولة، {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} ¹.

فهناك أسماء دول ذُكرت في القرآن الكريم باسمها الصريح وبعضها الآخر استُعِيضَ بالمجاز عنه كما في قوله تعالى (طور سنيين)، وهذا (البلد الأمين)، بمعنى هذه أسماء مدن وأقيمت فيها دول وللمفسرين في ذلك آراء، ومنها ما جاء دالاً على الملك نحو قوله تعالى {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} ²، بالإضافة إلى ذكره لألفاظ أخرى تدلُّ على السلطة السياسية كألفاظ (ال خليفة، أولي الأمر) ، فالقرآن الكريم أشار الى الجزء و هي السلطة للدلالة على الكل التي هي الدولة، فضلاً عن ذكره مجموعة من الألفاظ التي تدلُّ على الدولة كلفظة القرية والبلد والمدينة، وهي ألفاظ تُشير إلى المفهوم العام للدولة.

كما أنَّ القرآن الكريم قد عرض إلى بعض الدول التي أقامها الأنبياء كما في قصة النبي يوسف والنبي داؤد وسليمان، إضافة الى ذكره بعض دول الظلم والضلالة كدولة فرعون والدولة التي كان يعيش فيها أصحاب الكهف وغيرها . فقد ارتقت قصص الأنبياء بمنزلة ومكانة رفيعة في الدولة" فقد مثل الانتقال المكاني ليوسف عليه السلام من البادية إلى مصر تمهيداً لما قام الرسول به من إرساء دعائم الدولة" ³

كما أنَّ للمعنى اللغوي للفظ (الدولة) ما جاء في لسان العرب "دول: الدولة والدولة : العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدولة بالضم، في المال، والدولة بالفتح في الحرب، وقيل : هما سواء فيهما، يضمن ويفتحان" ⁴ ما يُشير إلى معناها القائم في أنها كانت مفتوحة على الحرب، يُقال كانت لنا عليهم الدولة، والجمع الدول، والدولة بالضم تطلق على المال ، ويقال صار الفيء

¹ سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

² سورة الكهف، الآية ٧٩.

³ بلاغة النص القرآني، سورة يوسف، علاء النجار، ص 49.

⁴ لسان العرب، ابن منظور، 5/328.

دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع دولاً و دول وقال بعضهم الدولة والدولة لغتان بمعنى واحد.¹

وقد فسّر ما جاء في قوله تعالى {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}²، ليس هذا للدولة بموضع ، إنما الدولة للجيشين يهزم هذا ثم يهزم الهازم فنقول قد رجعت الدولة على هؤلاء كأنها المرة، والتداول بمعنى أخذه بالدول وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وقوله تعالى {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}³، أي نديرها من دار إلى دار... وتداولت الأيدي أي تعاقبته ، يعنى أخذته هذه مرة...⁴ وقد فسّر "أي بين الرؤوساء والأقوياء"⁵. وهو مفهوم عام للدول وانتقالها بين الناس من دولة إلى أخرى، أي من أمة إلى أمة لتتنشئ عليها ما يُسمى بالدولة.

لذلك فإن نشأة مفهوم الدولة تعود إلى ما جاء في نحو قوله تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۖ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}⁶، فالآية الكريمة الكريمة تبين عوامل نشأة الدولة وكيف انتقل الناس من حال إلى حال إلى أحوال أخرى، حيث حوّل مركز الاستقطاب الجماعي من الدولة إلى الجماعة والفكرة والعقيدة، ومنه قوله تعالى الذي يعكس التجسيد لهذه الجماعة {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}⁷ وقد فسّر ذلك "أي كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عشرة قرون بعد نوح عليه السلام فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين"⁸

¹ ينظر: الصحاح تاج العربية، إسماعيل الجوهري، ٤/١٧٠.

² سورة الحشر، الآية ٧.

³ سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

⁴ تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، ٤/٢٤٥.

⁵ تفسير البغوي، البغوي، 4/118.

⁶ سورة البقرة، الآية ٢١٣.

⁷ سورة آل عمران، الآية ١١٠.

⁸ تفسير البغوي، البغوي، 3/217.

فالغاية من الرسالة هو تبليغها والحض على مخافة الله والعدل، فلم يدعهم الله إلى تعلم إقامة الدول والسلطات وإنما دعاهم إلى مبادئ الحياة والتعاون والأخوة وإنشاء حضارة، فيكون الدين تكريماً للأمة، فقد جاء في قوله تعالى تفسير ذلك في قوله { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }¹

وما يهمنا في هذا المجال أن نعرض للأسماء الصريحة والمؤولة بالصريحة والتي تناولت ذكراً للأسماء الدالة على الدولة في سياق النص القرآني.

¹ سورة النحل، الآية ٩٠.

المبحث الأول: الأسماء الصريحة

لعلَّ ما يُقصد بالأسماء الصريحة التي ذُكرت في القرآن دالة على الألفاظ التي تُنسب إلى مفهوم الدولة والتي تدلُّ على أسماء الدول ، بمعنى إنها ظهرت في مسمّى محدد لبلد معين أو دولة معينة يُقصد إليها التدليل على فضائل ومدائح بلد معين أو خلاف ذلك مما كانت عليه بعض الأقوام من الظلم بحق نفسها قبل كل شيء.

ومن الأسماء الصريحة لأسماء الدول ما ورد في لفظة (بابل) في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۖ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾¹، ومعناها اللغوي كما جاء في لسان العرب "ببل: بابل: موضع بالعراق وقيل: موضع إليه ينسب السحر والخمر...² ومنه أن "بابل تقع جنوب بغداد، عند أسفل ملتقى النهرين"³

فكما نلاحظ أنَّ (بابل) من الألفاظ الدالة على الاسم الصريح لاسم الدولة التي انتقاهها الله جلَّ جلاله في قوله تعالى، وهي في المعنى الدلالي ما يحتمل أن يكون متعلقاً بصفة محذوفة في سياقها والتقدير حين ذلك (وما أنزل على الملكين ببابل)، وهذا ما أورده الألوسي في تفسيره تعليق ذكر الاسم الصريح⁴، وعلى ذلك، فقد تفاوتت الآراء بشأن المقصود من ذكر (بابل) إن كانت في بلد دون الآخر، على إن دلالتها واقعة على بلد من البلدان قد خصّه الله عزَّ وجل بالذكر، "إنَّ بابل بلد في سواد الكوفة ، وقيل بابل العراق، وقيل: هي من نصيبين إلى رأس العين، وقيل جبل دماوند، وقيل بلد بالغرب"⁵

¹ سورة البقرة، الآية ١٠٢.

² لسان العرب، 2/12.

³ محاضرات في تاريخ الحضارات القديمة، كاهينة قبائلي، ص 91.

⁴ تفسير الألوسي، محمود الألوسي، د. ت، 1/١٢٧٠.

⁵ التبيان في تفسير القرآن، ١/٢٧٤.

كما أنّ الآراء بشأن هذه التسمية قد تفاوتت ومنها "إنها سميت كذلك لتبليبل الألسنة واختلاطها، وقيل سميت أرض بابل، لأنّ الله تعالى حين أراد أن يخالف بين السنة بني آدم بعث ريحاً ، فحشرهم من كل أفق إلى بابل ، فبليبل الله بها ألسنتهم، ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد".¹

ومن الأسماء الصريحة لأسماء الدول ما جاء في ذكر اسم الدولة (سبأ) في أكثر من سياق، ومنه ما جاء في قوله تعالى فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ²، فقد ذكر الله اسم الدولة وهنا دولة سبأ، فالغاية الدلالية لذكر اسم الدولة (سبأ) هو أنّ الآية الكريمة تتحدث عن النبي سليمان عليه السلام الذي تفقد الطير، فلم يجد الهدهد من بينها، وقد احتاج إليه في سفره ليدله على الماء، لأنه يقال: أنّ الهدهد يرى الماء من بطن الأرض³، وتفسير إتيان اسم الدولة (سبأ) اطلعت على ما لم تطلع عليه، وجئتك بأمر لم يخبرك به أحد، ولم يعلم به الأنس، وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك، وهو قوله {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ}⁴، أي بخر صادق وعلم بالإحاطة. وقد أشير إلى أن المقصود من قوله تعالى "عندما كفروا بأنعم الله عليهم وعدلوا عن توحيد الله وعبادته وشكروه إلى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهدهد لسليمان عليه السلام"⁵

وفي سياق آخر، نجد إنّ تضمين الاسم الصريح (سبأ) ما يكون في سبيل الإشارة إلى حسن عاقبة من شكر، وسوء المنال لمن كفر وخان العهد، "بعد أن ذكر النبي سليمان عليه السلام ، وما كان يتمتع به من ملك وسلطان ، و بما مكنهم من بناء مساكنهم وجعلها آية وحجة على وحدانية الله وكمال قدرته وعلامة على سبوغ نعمته، حتى جعل مساكنهم بساتين عن يمين من أتاها، وعن شماله ، ذات أزهار وثمار على اختلاف ألوانها وطعومها".⁶

¹ تفسير الألوسي، ١/٣٤٢.

² سورة النمل، الآية ٢٢.

³ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي ، ٧/٢٨٢.

⁴ سورة النمل، الآية ٢٢.

⁵ الحضارة السبئية في سورة سبأ، محمد بلعربي، ص43.

⁶ مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ٢/٢٨٢.

وذلك ما جاء في قوله تعالى فيه ذكر صريح لاسم الدولة {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۝ جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۝ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} ¹، فقد جاء في لسان العرب أنها "اسم مدينة تُعرف بمآرب من صنعاء على مسيرة ثلاث ليال" ²، وقد قيل أن سبأ اسم مدينة بلقيس باليمن ³.

ومن أسماء الدول الأكثر ظهوراً في النص القرآني اسم الدولة لـ (مصر) ، فقد وردت لفظة مصر باسمها الصريح في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ومنه ما جاء في نحو قوله تعالى { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا} ⁴، وفي قوله تعالى {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ} ⁵.

فكلمة (مصر) في الدلالة اللغوية تعني "ما يجيء في قولهم مُصِّرْت مدينة كذا في زمن كذا، وقولهم: كذا مصر من الأمصار والمصر في الأصل: الحد بين الشيتين، واشترى فلان من فلان هذه الديار بمصورها أي بحدودها" ⁶.

وقد جاء في أن مدينة مصر "من المُدن ووزنها مَفْعلة بفتح الميم ، لأنها من دان" ⁷.

وقد تكررت لفظة (مصر) في النص القرآني نظراً للاتساع الدلالي الذي قامت عليه ، فقد شاع أن أهل مصر و هجر يكتبون في شروطهم، اشترى فلان الدار بمصورها ، أي : بحدودها، ومنها سميت البصرة والكوفة مصرين، فقد مصّر عمر بن الخطاب سبعة أمصار، منها البصرة والكوفة، قيل لها المصران ، لأنه قال للقادة الفاتحين : لا تجعلوا البحر بيني وبينكم، مصّروها : أي صيّرّوها مصراً بيني وبين البحر، يعني حداً... ⁸.

¹ سورة سبأ، الآية ١٥.

² لسان العرب، ابن منظور، ٦/١٣٦.

³ لسان العرب، ١/٩٤.

⁴ سورة يونس، الآية ٨٧.

⁵ سورة البقرة، الآية ٦١.

⁶ معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدين الرومي، ١/٣٦.

⁷ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، ١/٤١٠.

⁸ ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ٤/٣٦٦.

المعنى من ذلك أن لفظة (مصر) لا تعني الدلالة على الدولة فقط، فقد اتسعت البنية الدلالية لها وذلك بحسب السياق النصي الذي تقع فيه، وهنا في سياق الآيات السابقة مصر هي البلد، "يقال: مَصَّرُوا الموضع، جعلوه مصدراً، وتمصَّر المكان، صار مصراً، ومصر: الكورة، تقام فيها الحدود، وتغزي منها الثغور، ويقسم فيها الفيء و الصدقات من غير مؤامرة الخليفة"¹.

ولإتيان لفظة (مصر) ممنوعة من الصرف في قوله تعالى ما يدلُّ على تحديد موضع بعينه، وهو البلد الذي يقع غرب الشام مما يلي البحر الأحمر، بلد موسى ويوسف وقصتاها في القرآن الكريم²، فالدولة (مصر) تأتي مذكَّرة إذا كانت دالة على بلد محدد أو مكان ما، وإذا كانت مؤنثة فإنها دالة على كورة أو مدينة. وقد فسر (اهبطوا مصراً) ادخلوا بلداً من البلدان، أو قرية من القرى، تجدون فيها بغيتكم وطلبكم"³.

ومن النقاشات التي دارت حول هذا اللفظ (مصر) ما جاء في كونه دال على بلد محدد أم لا، "وقد اختلف في قراءة الآية (اهبطوا مصراً)، فعلى قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود بغير الألف، والباقون مجمعون على قراءتها بالألف، فإن كانت بالألف فهي البلدة المعروفة، وإن كانت بغير ألف، فأى بلد كان، وقد أول مصراً بالألف على أنها بلد بعينه، ولكنه صرف لأنه دال على المكان المذكور.."⁴.

وما ذلك إلا لتمييز المفسرون بين دلالة (مصر) في كونها لفظاً يدلُّ على مكان محدد دالاً في الوقت نفسه على الدولة التي خصها الله عز وجل بالذكر، وإلى التفريق بينها وبين ذكرها بشكل غير صريح، ذلك أن لمصر أسماء أخرى تشير إلى دولة مصر، كما أن هناك بعض الألفاظ في سياق النص القرآني أتت غير صريحة، لكنها دالة على دولة (مصر).

وبالتصريح بدولة مصر إلا أن الله عزَّ وجلَّ قد خصَّها بعظيم الذكر، حيث تكررت هذه اللفظة في أكثر من موضع، وفي كل مرة لها معنى يعود عليها في التديل على مقصد معين، فقد وردت لفظة (مصر) صريحة في قوله تعالى لَوْ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرَمِي

¹ العين، الخليل الفراهيدي، ٧/١٢٧.

² لسان العرب، ابن منظور، ٥/١٧٦.

³ تفسير البغوي، البغوي، 3/48.

⁴ النهاية في غريب الحديث، ٤/٢٠١.

مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۖ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ ۗ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ¹، كما أن ذكرها قد جاء في
السورة نفسها في قوله تعالى {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ
اللَّهُ آمِنِينَ}²

وذلك للإشارة إلى دخول النبي يعقوب وأولاده وسبقهم إليها نبي الله يوسف عليه السلام الذي
أمضى حياته كلها فيها، فكانت له المقام والمسكن الطيب، وأتى بقومه من أرض فلسطين للإقامة
في مصر مؤكداً ذلك في قوله تعالى (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين)، "فقد خصَّ الله مصر بما
خصَّ به البلد الحرام من الأمن والأمان"³، فكما نلاحظ إنَّ النص القرآني يسجّل عراقة مصر
وحضارتها التي كانت ضاربة في أعماق التاريخ.

كما جاء لفظة دولة (مصر) بما يدلُّ على دولة فرعون في قوله تعالى {وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي
قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۗ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}⁴، فقد
تكررت لفظة الدولة (مصر) في عدد غير قليل من النص القرآني، وفي كل مرة ترد فيه هذه
اللفظة فإنها تشير إلى مكان محدد وإلى قوم بعينهم دون غيرهم، ما يُشير إلى (مصر) المكان،
البلد، تلك البقعة الجغرافية المحددة التي خصَّها الله عزَّ جلاله بكرمه ونسب إليها تلك
الفضائل. والإشارة إلى أن (ملك مصر) "أي لا ينازعي فيه أحد، قيل إنه ملك منها أربعين فرسخاً
في مثلها، حكاها النقاش أراد بالملك هنا الإسكندرية"⁵

ومن الألفاظ الصريحة الواردة لفظة (مدين) وهي دالة على الدولة، ومنها ما جاء نحو قوله
تعالى {إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ۖ}، كما جاء أيضاً ذكر هذه اللفظة في
قوله تعالى {فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ}¹

¹ سورة يوسف، الآية ٢١.

² سورة يوسف، الآية ٩٩.

³ هدية العارفين، إسماعيل البغدادي، ٢/٦٦.

⁴ سورة الزخرف، الآية ٥١.

⁵ الجامع لأحكام البيان، القرطبي، 2/211.

⁶ سورة الأعراف، الآية ٨٥.

فقد أشار القرآن الكريم إلى اشتراك (شعيب) مع أهل مدين بالنسب، والذي أرسله الله إليهم لينذرهم عاقبة فعالهم، "وقد نُصّب شعيباً في الآية الأولى على أنه يدلُّ من أخاهم ، والاسم أخاهم مفعول به لفعل محذوف تقديره، فأرسلنا إلى مدين أخاهم"²، وما لذلك التوظيف لفظة الدولة إلا للإشارة إلى علاقة المكان (مدين) بالنبي شعيب عليه السلام ، وأكثر ما يكون في تفسير لفظة (مدين) أنها "بلد بالشام معلوم تلقاء غزة ، وهي منازل جذام"³

ومن الألفاظ الصريحة لفظة (مكة) الدالة على الدولة، فقد أتت صريحة الذكر في عدة مواضع، ومنه قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}⁴، فقد جاء اللفظ (مكة) صريحاً للتدليل على المكان والبلد بعينه، كما أن لمكة أسماء كثيرة ذكرتها كتب اللغة والتفسير، ومن هذه الأسماء "أم صبح ، أم زحم ، أم رحم، أم القرى، تهامة، الرأس، العرسن..⁵"

ونظراً للمكان التي حُصّنت بها مكة بوصفها أعظم الأمكنة وأكثرها تأثيراً في نفوس الجماعة المحبة للحق والتي ترمز كما نجد إلى أنها المكان أو الدولة الأكثر قرباً إلى أصل ما نزل من العقيدة وأصول التوحيد ، بمعنى أنها المكان المقدّس الذي انطلقت منه وحي الرسالة" مكة أقدس بقاع الأرض وأطهرها عن قبلة المسلمين"⁶ .

ومن ألفاظ الدول الصريحة في الذكر ما جاء في لفظة (يثرب)، فقد وردت لفظة يثرب مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى { وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا}⁷، فقد أورد المفسّرون المقصود بالطائفة في قوله تعالى من أن ما يراد بها هو "ذكر حال المنافقين الذين أبوا أن يكون الإسلام ديناً لهم، وأن يطيعوا الله ورسوله، فحرص بعضهم بعضاً بعدم المقام في المدينة، والاستقرار فيها، وأمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله

¹ سورة طه، الآية ٤٠ .

² التبيان في تفسير القرآن، ٤/٤٩١ .

³ معجم ما استعجم، البكري الأندلسي (توفي ٤٨٧هـ)، ٤/١٢٠١ .

⁴ سورة الفتح، الآية ٢٤ .

⁵ معجم تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ٣/٢٥٣ .

⁶ مكة في النص القرآني، عبد الله الذبياني، ص34 .

⁷ سورة الأحزاب، الآية ١٣ .

عليه وسلم ، كما حثوهم على أن يعودوا كفاراً، ويسلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا فليست يثرب لهم مكان".¹

وقد تفاوتت الآراء حول اعتبار (يثرب) مدينة أو بلد، "وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يسموا المدينة يثرب، بعد أن هاجر إليها، واستقرَّ فيها، وأمرهم أن تُسمى طيبة أو طابة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من قال للمدينة يثرب ، فليقل أستغفر الله ثلاثاً، هي طابة ، هي طابة ، هي طابة".²

بمعنى أنها قد سُميت بـ (طابة) في تسميتها يثرب، "وكأنه كره أن تُسمى مدينة يثرب، لما كان من لفظ التثريب، الذي يعني الإفساد والتأنيب والتعبير والاستقصاء في اللوم والتوبيخ..".³

فقد جاء أنّ هذه المعاني التي كانت ليثرب هي ما منعت من تكرارها في النص القرآني، بينما تسمية الدولة بـ (طيبة) أو طابة فهو اللفظ الذي اختاره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، "فهو يتناسب مع ما أراد لها، فطيبة مؤنث طيب، وطابة مؤنث طاب، بمعنى الطيب، وقيل هو من الطيب بمعنى الطاهر لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه".⁴

والروايات بشأن دولة (يثرب) كثيرة، من عدّها رمزاً للمكان أو الأرض أو عدّها اسماً للبلد أو الدولة وسواها مما أورده المفسرون من روايات بشأنها، "ويثرب هي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كما يُذكر، سُميت بيثرب بن قرآنية، من إرم بن نوح، لأنه أول من نزلها...".⁵

ومن ألفاظ الدولة الصريحة ما جاء في لفظة (إرم) العائد إلى قبيلة معينة كما تذكر كتب الدراسات، فقد جاءت بلفظها الصريح في قوله تعالى {الْم تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ}⁶، فالتوظيف الدلالي للفظ (إرم) لا يقوم على أنها مجرد لفظ دال على الدولة في السياق القرآني، بل إنّ لتوظيفها في سياقها ما يعكس الخطاب الذي

¹ تفسير البغوي، البغوي ٣/٥١٦.

² تاريخ المدينة، أبو زيد البصري، ١/١٦٤.

³ لسان العرب، ٢/٨٩.

⁴ النهاية في غريب الحديث، ٣/١٤٩.

⁵ معجم ما استعجم، ٤/١٣٨٩.

⁶ سورة الفجر، الآية ٦-٨.

وجهه الله عزَّ وجلَّ للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، "وفيه تنبيه للكفار في زمنه على العقوبة التي حَلَّتْ بالأُمم الماضية، التي استحقتها لما كُفرت بوحداية الله، وهو إعلام منه تعالى لهم بكيفية إهلاكهم".¹

وقد اختلف المفسرون في تفسير دلالة (إرم) كونها من أَلْفَاظ الدولة الصريحة الذكر، إذ رأى بعضهم أنها بدل من عاد "وقيل إنها عاد الآخرة، وإنَّ إرم في الآية عطف بيان، أو بدل من عاد، وإنها القبيلة التي نُسبت إلى أبي عاد إرم".²

ووصفها ب (ذات العماد) لأن أفرادها كانوا عماليق، ووصف لطولهم، ومن المحتمل أن تكون هي اسم مدينتهم التي سُميت باسم أبيهم، "وذات العماد وصف لها، فقد اتَّصفت بعظم بنائها، وأنها لم يكن مثلها على وجه الأرض، مند بنيت أعمدتها من الحجارة، وكذلك قصورها وأبراجها، وقد قيل إنها هي دمشق، وهي عدن، و هي مدينة بين حضرموت و صنعاء"³، بمعنى قد تكون قبيلة أو مدينة، فقد ذكرها النص القرآني بما يقتزن بالصفات التي كانت في (عاد)، حيث بُنيت عليها أوصافها.

فالاختلاف واضح في تفسير الآية الكريمة، "فَقِيلَ إِنَّ إِرْمَ عَطْفَ بِيَانٍ لِعَادِ الْمَعْرُوفَةِ وَعَطْفَ الْبِيَانِ هَذَا، إِيْذَانٌ وَتَنْبِيهُ بِأَنَّهُمْ عَادُ الْأُولَى الْقَدِيمَةِ، وَقِيلَ إِرْمَ بِلَدَّتِهِمْ وَأَرْضَهُمَ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)، أَيِ وَاسْأَلِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ، وَإِرْمَ قَبِيلَةً أَوْ أَرْضًا.."⁴

والأرم المقصود به القطع، ويقال إن "الإرم والأرم الحجارة والآرام الأعلام، وخصَّ بعضهم أعلام عاد، واحداها إرام وأرم، وقيل هي قبور عاد...".⁵

كما وردت من الألفاظ الصريحة الدالة على الدولة لفظة (سيناء) في قوله تعالى، فقد وردت في قوله تعالى لمرة واحدة في قوله تعالى ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ﴾

¹ التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (توفي ٤٦٠هـ)، تصحيح أحمد قصير، ١٠/٣٤٢.

² الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل، الزمخشري، ٤/٢٥٠.

³ واعم الامع، الطبرسي (توفي ٥٨٤هـ)، ١/١٢٧.

⁴ الكشف عن حقائق التنزيل، ٤/٢٥٠.

⁵ لسان العرب، ابن منظور، ١/١٢٤.

لَلْأَكْلِيَيْنِ¹، وكذلك ما جاء بلفظة (سينين) فقد عدت أنها بمعنى واحد، بمعنى أنّ المكان المشار إليه في سياق الآيات السابقة واحد، وفي ذكر هذين اللفظين الدالين على الدولة ما يُشير إلى بيان معاني الطور، "فالطور لفظ مشترك بين بعض اللغات كالعبرية والعربية والنبطية و السريانية، وهو يعني الجبل المنبت للشجر المثمر خاصة"²، ولعلّ السبب إلى اعتبار المفسرين أنّ كلاً من اللفظتين بمعنى واحد هو "أنّ سيناء من باب قلب المنقول إلى سينين، أو تغيير بنية الكلمة .. وسيناء لغة في سينين"³، ولذلك فقد رجّح المفسرون أن يكون اللفظان مما يدل على مكان بعينه وهو الجبل، وهما في الوقت نفسه مما يشير إلى الدولة المقصودة من وراء الجبل الذي خصّه الله عزّ وجل بالذكر .

ومن الألفاظ الصريحة الدالة على الدولة التي تدلّ على أنها مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفظة (المدينة)، فقد جاءت في مواضع دالة على أنها مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ومنه ما جاء في قوله تعالى ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا⁴﴾، فقد ذكر اللغويون أنّ (المدينة) إذا كانت معرفة بأل فهي اسم لمدينة الرسول (ص) ، ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ⁵﴾، فقد أفادت الألف واللام في هذا الموضع الغلبة، نحو: الكتاب ، فقد غلبت المدينة على مدينة رسول الله كما غلب الكتاب على كتاب سيبويه رحمه الله ، حتى أنهما إذا أطلقا لم يتبادر الفهم إلى غيرهما ... وهذه مدينة رسول الله ولا يخدمان في غيرهما شذوذاً⁶، بمعنى إنّ لإتيان لفظة المدينة ما قد يشير إلى مدينة غير المدينة المقصودة في مدينة النبي الكريم (ص) ، فقد تأتي مطلقة على أية مدينة، فمرة تطلق على مدينة يوسف في مصر، ومرة على مدينة أهل الكهف الشام، ومرة على مدينة

¹ سورة المؤمنون، الآية ٢٠.

² لسان العرب، ابن منظور، مادة (طَوْرَ)، ٣/٦٨.

³ تفسير ابن مسعود، ٧/٢٠٤.

⁴ سورة الكهف، الآية ١٩.

⁵ سورة التوبة، الآية ١٠١.

⁶ شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمداني (توفي ٧٩٩هـ)، ١/١٨٦.

لغلامين مع عبد من عباد الله الصالحين وذلك نحو قوله تعالى {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا} ¹.

فقد عكس التوظيف الدلالي للفظة (المدينة) الاتساع الكبير الذي قامت عليه من أن المدينة مجتمع كبير به أجناس متعددة، ونفوس و طبائع مختلفة، منها المؤمن الصادق، ومنها المنافق المبغض، وفيها الأنصار والمهاجرون، وأخلاق كثيرة من الناس، وأكثر ما تكون لفظة المدينة في غير ما تدلُّ عليه من مدينة الرسول (المدينة المنورة) دالة على:

١- مصر فرعون وموسى كما جاء في سورة الأعراف.

٢- مصر يوسف والعزير كما في سورة يوسف.

٣- مدينة النبي كما في سورة التوبة و الأحزاب و المنافقون.

٤- المكان المتسع الذي يسكنه أهل الترف والحضارة كما ورد في سورة الكهف والنمل والقصص ويس.

٥- مصر فرعون و موسى كما جاء في سورة الأعراف.

٦- لفظ المدينة لفظ يوضح جلياً أن هناك سكاناً يختلفون في الطباع والعادات ويتباينون كل التباين في شتى مناحي الحياة².

أسماء الدول الصريحة التي ذكرت في القرآن الكريم:

اللفظ	النص	السورة	الآية	دلالته
مكة	وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنَّا وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا	الفتح	24	

¹ سورة الكهف، الآية ٨٢.

² ينظر : فضائل وخصائص مصر في ضوء القرآن والسنة، خالد بدوي، ٢٠١٦، ص ١٦.

م كة	13	الأحزاب ب	وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا	يثرب
	-6 8-7	الفجر	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ	إرم
	1	الاسراء	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	المسجد الحرام
	29	الحج	ثُمَّ لِيُقْضَىٰ لَهُمْ أَهْلِيؤُهُمْ وَيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ وَيُطََّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ	البيت العتيق
	85	القصص	إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۗ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	معاد
م صر	87 61	يونس البقرة	وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكَمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : اَّتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ	مصر
	21	يوسف	وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۗ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	مصر
	99	يوسف	فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ	مصر

	51	الزخرف	وَتَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۗ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	مصر
	20	المؤمنون	وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِيينَ	سيناء
	19	الكهف	فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا	المدينة
	101	التوبة	وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۗ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۗ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ	المدينة
	30	يوسف	وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	المدينة
ال عراق	102	البقرة	وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۗ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ	بابل
	85	الأعراف	إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	مدین
	40	طه	فَلَبِثْتُ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ	مدین
	22	النمل	فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ	سبأ

ال			وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ	
يمن	15	سبأ	لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جِئْتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ	سبأ

المبحث الثاني: الأسماء غير الصريحة

تشكل الأسماء غير الصريحة أيضاً دلالتها على أسماء الدول كما ظهرت في نص السياق القرآني في صيغة غير مباشرة لذلك فقد جاءت أسماء محددة للدلالة عليها، وقد كان لهذا التضمين غايات ومقاصد محددة ما يؤكد أسلوب القرآن الإعجازي.

ومن الألفاظ أو الأسماء غير الصريحة الدالة على دولة معينة ، لفظ (القرية) إذ يدلُّ على ذكر (مكة المكرمة)، حيث جاء في قوله تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾¹، فقد ذكر أن المقصود بالقرية هنا هو مكة المكرمة، فقد أُطلق على مكة المكرمة القرية الظالم أهلها ، لأن أهلها كانوا مشركين، لذلك فإن مكة هي أفضل البلاد على الإطلاق وأحب الأرض إلى الله ورسوله ، "والمشار إليه القرية التي هم ساكنوها وبقون فيها وهي مكة، لأن قريشاً كانت تسوم سوء العذاب"² إلا أن مكة وإن كانت في نفسها ما يكتب له الفضيلة والتقدم، إلا أن أهلها قد ظلموا أنفسهم وظلموا الناس في محاولتهم الوقوف ضد كل ما جاء به الدين الإلهي ، فحاولوا أن يقفوا ضد شرع الله وأن يفعلوا خلاف ما أمر به ، لذلك كانت كل قرية تفعل هذا الفعل فإنها تعكس تأكيد الظلم والأمثلة كثيرة في النص القرآني والتي تدلُّ على الظلم الذي مارسه هؤلاء إن كانوا من أهل مكة وما جاورهم ، فقد جاء في قوله تعالى ذكر القرية التي ظلم أهلها أنفسهم بقوله ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا

¹ سورة النساء، الآية ٧٥.

² تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، 1/278.

رَعْدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَّرْتَ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ¹، ففي ذكر لفظة (القرية) ما يدلُّ على القوم الذي أهلکهم فسادهم وظلمهم كما كان في أهل مكة، ومن الألفاظ العائدة إلى ما كانت عليه مكة من صدر هذا الظلم على تعدد أشكاله ما جاء بلفظة (أم القرى)، وذلك في نحو قوله تعالى {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا}². وأنزلناه أيضاً لتتذر أم القرى وهي مكة المكرمة ومن حولها³

ومنه أيضاً ما جاء في سورة الشورى في قوله تعالى {وَوَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}⁴، فكما نلاحظ إن لورود (أم القرى) ما يدلُّ على اسم الدولة (مكة) إلا أنها وردت بشكل غير صريح، فلو أراد الله عزَّ وجلَّ لذكر (مكة)، إلا أن السياق الدلالي هنا يستلزم التعبير بـ (أم القرى) للدلالة على مكة التي ظلم أهلها بما فعلوه في وجه تحقيق الدين الحنيف. "لأن جميع العالم يتوجه إلى الكعبة ومكة، لأنها سرّة الأرض"⁵

فالمقصود بأم القرى هو مكة المكرمة، ولعلَّ السبب العائد إلى تسمية مكة بأم قرى كنسب أو اسم يُنسب إليها لأنَّ "مكة هي أصل القرى وقد دُهِيت الأرض من تحتها، ويُقال لأنها أعظم القرى شأنًا، وقيل: لأنها قبلة تؤمها الناس بالصلوات إليها"⁶.

ومن الألفاظ الدالة على اسم الدولة (بيت المقدس) ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۗ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ}⁷، فقد تعددت الآراء بشأن المقصود بالقرية، ومنه ما روي من أن المقصود بالقرية في هذه الآية هو الإشارة إلى باب إيلياء، وذلك أن بني إسرائيل خرجوا مع يوشع بن نون من أرض النيه من العمران حيال أريحا، وكانوا قد أصابوا خطيئة... فأراد الله أن

¹ سورة النحل، الآية ١١٢.

² سورة الأنعام، الآية ٩٢.

³ تفسير السعدي، السعدي، 2/87.

⁴ سورة الشورى، الآية ٧.

⁵ مناسبة الآيات الكونية لمقاصد السور القرآنية (سورة الشورى)، ص 3636.

⁶ المحرر الوجيز، ٢/٤٤٤.

⁷ سورة البقرة، الآية ٥٨.

يغفر لهم، وكانت الخطيئة أن موسى أمرهم أن يدخلوا أرض أريحا التي فيها الجبارون ، فلهذا قال لهم - قولوا حطة يعني : حط عنا خطايانا ، وقيل : هي بيت المقدس " ¹.

ومنه أيضاً ما جاء في سورة المائدة للإشارة إلى (بيت المقدس) الدولة عن طريق لفظ القرية كاسم غير صريح، مؤول بالصريح يدل في دلالاته ووصفه إلى (بيت المقدس)، ومنه أن تلك القرية قد اتفق أهلها جميعاً في صفة خلقية واحدة ، ومنه ما جاء على لسان موسى مخاطباً قومه في قوله تعالى ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾، قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} ².

فقد جاء في التفسير عن السمعاني أن القرية دالة على دولة (أريحا) ، بدليل أنها قرية الجبارين ، وكان فيها قوم من بقية عاد يُقال لهم العمالقة ، و رأسهم (عوج بن عناق) ، فنكص بنو إسرائيل عنها، وقالوا: يا موسى إنَّ فيها قوماً جبارين ³.

وقد روي مقاتل بن سليمان أن السبب في تسمية الدولة بالقوم الجبارين عائدة إلى رفض بني إسرائيل الدخول "أبى بنو إسرائيل أن يدخلوا عليهم ، وقالوا: (يا موسى إنَّ فيها قوماً جبارين) ، فلما لم يدخلوا كتب الله عليهم التيه أربعين عاماً، وجاء جيل جديد قاده يوشع من نون، فتح المدينة بهم ودخلها ، لكنهم بدلوا، ولم يدخلوا على الهيئة التي أمروا بها ، وقالوا قولاً غير الذي أمروا به " ⁴.

كما أن القرطبي يرى أن سبب تسميتهم بالجبارين يعود إلى كونهم "عظام الأجسام طوال، فيقال : نخلة جبارة ، أي : طويلة ، والجبار المتعظم، الممتنع من الذل والفقر.. ⁵

¹ تفسير ابن أبي حاتم، أبو حاتم الرازي، ١/٣٧٦.

² سورة المائدة، الآية ٢١-٢٢.

³ تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، ١/٨٣.

⁴ تفسير مقاتل بن سليمان، ١/٢٩٠.

⁵ الامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/١٢٦.

ومن الألفاظ الدالة على دولة (مصر) عن طريق اللفظ غير الصريح ما جاء بلفظة القرية والمقصود بها التدليل على مصر نحو قوله تعالى {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۗ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} ¹

وقد أشار كلٌّ من الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، في تفسيره أن "تأويل الآية (قولوا لأبيكم يسأل القرية)، أي: مصر، والمراد: أهلها، وقيل: وأسأل القرية نفسها، وإن كانت جماداً، فإنك نبي الله ، والله سوف ينطقها ، فتجيبك" ²، وقد جاء أن ما يراد بالقرية "هذا مما جاء في اتساع الكلام والاختصار وإنما يريد أهل القرية، فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا" ³

المعنى من ذلك أن لورود لفظة (القرية) ما يؤكد الدلالة على هؤلاء القاطنين في حدود الدولة والذين قد حُقَّ عليهم غضب الله نظراً لما اقترفوه من الأفعال المؤكدة لغضب الله عليهم .

كما أن لفظة (المدينة) كانت قد دلت بشكل غير صريح على دولة (مصر) ، و من مثالها ما جاء في سورة الأعراف في قوله تعالى {قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۗ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} ⁴، فالمقصود من ذكر المدينة في قوله تعالى التدليل على مصر ، "وجاءت معرفة ب (ال) عوضاً عن ضمير والمقصود مدينتكم، وتفسير ذلك أن هذا الإيمان من السحرة لقول قلموه في المدينة ، ويعني أهل مصر" ⁵، وقد أشار القرطبي القرطبي والسيوطي الى أن في قول فرعون للسحرة ما يقصد به الاستيلاء على مصر ، "أي كان هذا الاتفاق منكم في مدينة مصر قبل أن تبرزوا إلى هذه الصحراء" ⁶.

كما جاء الحديث عن مصر بلفظ غير صريح يعود في ذكر لفظة (المدينة)، ومنه ما جاء في سورة يوسف في قوله تعالى {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدُ

¹ سورة يوسف، الآية ٨٢.

² البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣/١٤٨.

³ الكتاب، ٤/١٧٤.

⁴ سورة الأعراف، الآية ١٢٣.

⁵ تفسير مقاتل بن سليمان، ١/٤٠٨.

⁶ الامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/٢٦٠.

شَعَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ¹، "والمقصود بالمدينة مصر كما جاء عند القرطبي"².
وقد جاء عند الطبري أن المقصود "تحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز في مدينة مصر"³

وقد جاء أنَّ المقصود بذكر المدينة للدلالة على دولة (مصر) ما جاء في قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة) وتفسير ذلك "أنَّ لفظ النسوة: جمع قلة للمرأة من غير مادة لفظها، ولم يبيِّن لنا التنزيل عددهن ولا أسماءهن ولا صفاتهن، لأنَّ الفائدة في العبرة محصورة في عملهن عمل جماعة قليلة يُعهد في العرف انتماءهن واتفاقهن على الاشتراك في مثل هذا المكر المنكر، في مدينة كبيرة كعاصمة مصر، التي بلغت منتهى الحضارة، وما تقتضيه من التمتع بالشهوات والزينة"⁴، كما أنَّ في قوله تعالى (في المدينة) ما هو عائد أيضاً الى مكان الدولة (مصر) ، حيث جاء في تفسير ذلك، "في المدينة، صفة لنسوة والمقصود من ذكر هذه الصفة أنهن كنَّ متفرقات في ديار المدينة، وهذه المدينة هي قاعدة مصر السفلى، وهي مدينة منفيس حيث كان قصر العزيز"⁵.

ومن الألفاظ الدالة على (مصر) الدولة أيضاً ما جاء في لفظ (المدينة) إشارة إلى دولة فرعون موسى، ومنه ما جاء في قوله تعالى {وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ}⁶، فقد تفاوتت الآراء بشأن العائد في ذكره في لفظ (المدينة) من الدول، فمن المفسرين من وجد "أنها عائدة إلى مدينة عين شمس، أو مدينة منف وقيل الإسكندرية"⁷، كما ورد في أنها مدينة "فرعون موسى، وكان فيها أربعة أنهار تختلط مياهها في موضع سرير فرعون، ولذا قال: وهذه الأنهار تجري من تحتي"⁸.

¹ سورة يوسف، الآية ٣٠.

² الامع لأحكام القرآن، ٩/١٧٦.

³ تفسير الطبري، الطبري، 2/507.

⁴ تفسير المنار، محمد علي رضا، ١٢/٢٤٠.

⁵ التحرير و التوير، محمد عاشور، ١٢/٥٣.

⁶ سورة القصص، الآية ٢٠.

⁷ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٨/٢٩٢.

⁸ رحلة الشتاء والصيف، محمد بن عبد الله كيريت، ص ١٦٨.

إذ يشار إلى أنها مدينة مصر التي سكنها فرعون، وقد جاء في هذا التفسير بشأن تحديد المقصود من ذكر المدينة في الآية الكريمة على أنها تابعة لمصر فيما يذكر المفسرون، فقد قيل "إنَّ فرعون قد ركب، فركب موسى في أثره ، فأدركه بأرض يقال لها منف ، فدخلها نصف النهار ، وقد تغلقت أسواقها، وقد دخلها مستخفياً من فرعون وقومه لأنه كان قد خالفهم في دينهم وعاب ما كانوا عليه"¹

ومن الألفاظ ما أتى بلفظة (قرية) للدلالة على بلد أو دولة (سدوم) لبيان ظلم أهلها كما جاء في قوله تعالى {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ} ²، فقد أريد بالقرية دولة (سدوم) ، "فقد أكدت لفظة الأهل ب (إِنَّ) لتوكيد ظلم أهل القرية ، فقد أكد سبحانه وتعالى على أهل هذه القرية عن طريق التوكيد (إِنَّ أَهْلَهَا)" ³، وقد جاء أيضاً في سورة العنكبوت في قوله تعالى {إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} ⁴، فالمراد في ذكر (القرية) الإشارة إلى (سدوم)، وما التوكيد هذا إلا للتأكيد على الظلم الذي وقع على (سدوم) وأهلها .

ومن لفظ (القرية) ما شكّل في دلالته على اسم الدولة بشكل غير صريح في الدلالة على بيت المقدس ، ومنه أنها وردت كلمة (قرية) وأريد بها مدينة معينة ودولة (بيت المقدس)، ومن ذلك ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا} ⁵، فقد قُصد بها "بيت المقدس، فعنى سبحانه أن يدخلوا مدينة القدس ، وقال قرية من قرئت أي جمعتُ وسميت بذلك لأنها مجتمع الناس، وقيل لها قرية وإن كثر وقيل لها مدينة .. ويبدو واضحاً في استعمال اسم الإشارة (هذه) مع القرية للتوكيد على أنّ هذه القرية هي المقصودة ببيت المقدس لا غيرها" ⁶.

¹ لمع البيان، ١٩/٥٣٦.

² سورة العنكبوت، الآية ٣١.

³ فتح القدير، محمد الشوكاني، ٤/٢٨٢.

⁴ سورة العنكبوت، الآية ٣٤.

⁵ سورة البقرة، الآية ٥٨.

⁶ غاية البيان في تفسير القرآن، محمد حمزة، ١/٥٢.

فهذا التفسير يضعنا أمام فكرة الجمع الدلالي بين القرية والمدينة من أنهما بمعنى واحد من دون اختلاف، حيث أراد الله سبحانه وتعالى بالقرية هنا المدينة ، فلعل المكان المقصود به (بيت المقدس) الأقرب إلى أنه بمعنى (المدينة) لا القرية، ومن دلالة (القرية) على دولة الطائف ما جاء في سورة الزخرف في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾¹، "فالمقصود بالقريتين هما مكة والطائف"²، فلم تكن مكة والطائف قري ، بل كانتا مدناً ودولاً لما تحتويه من معالم المدينة وأسباب الحضارة، إلا أن ذلك لا يعني أنه ذلك سبباً في كونها دولاً فلولا أن أشير إليها في سياق النص القرآني لما جاز ذلك.

ومن مثال (القرية) فما يدلُّ على دولة (بيت المقدس) ما جاء في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿إِذْ قِيلَ لَهُم اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾³، وقد فسّر ورود (القرية) في سياق الآية الكريمة، "ويقصد بها بيت المقدس أي اسكنوا بيت المقدس ، إذ أمرهم الله تعالى أن يدخلوا بيت المقدس خاشعين خاضعين"⁴، وفي وجود اسم الإشارة ما يدل دلالة واضحة على قصد الإشارة إلى (بيت المقدس)، ومن ألفاظ القرية ما دل على دولة (آيلة) ما جاء في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا﴾⁵، فقد أشار بعض الدارسين إلى أن ما يقصد بلفظ (القرية) في سياق الآية الكريمة "قرية آيلة، إذ أمر الله نبيه أن يسأل بني اسرائيل عن أهل مدينة آيله التي كانت على ساحل البحر وتشرف عليه وتقع في آخر الحجاز"⁶.

ومن ورود لفظة (قرية) الدالة على (سدوم) ما جاء في سورة النمل في نحو قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾⁷، فالمراد في إخراجهم من القرية، التدليل على سدوم ، "فقد كانت قرية لوط عليه السلام، ولم تعرّف قرية بـ

¹ سورة الزخرف، الآية ٣١.

² أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ٧/١١٠.

³ سورة الأعراف، الآية ١٦١.

⁴ غاية البيان في تفسير القرآن، محمد حمزة، ٩/٦٥.

⁵ سورة الأعراف، الآية ١٦٣.

⁶ غاية البيان في تفسير القرآن، محمد حمزة، ٩/٦٧.

⁷ سورة النمل، الآية ٥٦.

(أل) لأنها عرّفت بإضافة الضمير و هو ضمير يعود على قوم لوط ، فتكون القرية هي نفسها قرية قومه" ¹.

ومن مثال لفظة (المدينة) ما دلّ بشكل غير صريح على (ثمود) ، ومنه ما جاء في سورة النمل في قوله تعالى {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} ²، فالقصد من (المدينة) في قوله تعالى الإشارة إلى (ثمود) ومنه ما جاء في قوله تعالى {وَوَدَّخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا} ³، فقد اختلف العلماء في تفسير المدينة، "فقد قال ابن عباس هي منف، و قال ابن اسحاق هي مصر، وقيل المدينة عين شمس ، وقيل قرية على فرسخين من مصر يُقال لها حابين، وقيل هي الإسكندرية، والأشهر أنها مصر" ⁴.

ومن إطلاق لفظ (المدينة) فيما يدل على المدينة المنورة دون غيرها من الدول ، ومنها ما جاءت الإشارة إليه في سورة التوبة في قوله تعالى {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} ⁵، فدلالة المدينة في قوله تعالى عائدة إلى تحديد الدولة المرادة (المدينة المنورة) ، وكذلك فقد جاءت في الذكر باسم غير الصريح في قوله تعالى في سورة الأحزاب {لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَتُغْرِبَنَّهُمْ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا} ⁶.

ومن الألفاظ غير الصريحة الدالة على مكة ما جاء في لفظة (البلد) في قوله تعالى {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} ⁷، وقد تفاوتت الآراء في تفسير هذه الآية وعلى ما تعود إليه، ومن أبرز ما جاء في هذه التفسيرات أنها تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها ، كما ذكر ذلك الإمام الطاهر بن

¹ غاية البيان في تفسير القرآن، محمد حمزة، ٩/٧٠.

² سورة النمل، الآية ٤٨.

³ سورة القصص، الآية ١٥.

⁴ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٢/١٣٠.

⁵ سورة التوبة، الآية ١٢٠.

⁶ سورة الأحزاب، الآية ٦٠.

⁷ سورة البلد، الآية ١.

عاشور، حيث قال "سميت هذه السورة في ترجمتها عن صحيح البخاري (سورة لا أقسم)، وسميت في المصاحف وكتب التفسير سورة البلد، وهو إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وإما لإرادة البلد المعروف وهو مكة"¹، حيث نزلت هذه السورة بمكة المكرمة.

وفي دليل نزولها في مكة أكثر من رأي، منها ما روي عن الأسلمي، حيث جاء عنه في تفسيره "نزلت هذه الآية (لا أقسم بهذا البلد، وأنت حلٌّ بهذا البلد) خرجت فوجدت عبد الله بن خطل متعلقاً بأستار الكعبة فضربت عنقه بين الركن والمقام"²، والرأي الثاني ما جاء عن سعيد بن جبير في قوله، "لما فتح النبي (ص) الكعبة أخذ أبو برزة الأسلمي وهو سعيد بن حرب عبد الله بن خطل وهو الذي كانت قريش تسميه ذا القلبين، فأنزل الله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾"³، فقدّمه أبو برزة فضرب عنقه وهو متعلق بأستار الكعبة فأنزل الله فيها (لا أقسم بهذا بهذا البلد) (وأنت حل بهذا البلد)⁴.. "بمعنى أنّ في ذكر (البلد) ضرورة التنويه بشأن (مكة) البلد الحرام وتشريفها، وذلك عن طريق حكم القسم بها في صدر السورة الكريمة، "حوت هذه السورة من الأغراض التنويه بمكة وبمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبركته فيها وعلى أهلها، والتنويه بأسلاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سكانها الذين كانوا من الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل..."⁵

ومن مثال هذه الدلالة، ما جاء بلفظة (البلدة) دالة على دولة (مكة) نحو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۗ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁶، فقد فسّر وجود اسم الإشارة (هذا) إلى بيان البلد المقصود في قوله تعالى، ليكون حاضراً في الأذهان، "وفائدة الاتيان باسم الإشارة تمييز المقسم به أكمل تمييز لقصد التنويه به"⁷، فالمقصود بالبلدة في قوله تعالى مكة المكرمة وأم القرى، فقد أجمع المفسرون على أنّ ذلك البلد هي مكة،

¹ التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ٣٠/٣٤٥.

² الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ٨/٥١٧.

³ سورة الأحزاب، الآية ٤.

⁴ الدر المنثور، السيوطي، ٨/٥١٧.

⁵ التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ٣٠/٣٤٥.

⁶ سورة النمل، الآية ٩١.

⁷ التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ٣٠/٣٤٦.

ولأن فضل مكة معروف، فإن الله تعالى قد جعلها حراماً آمناً، إذ إن هناك دلائل كثيرة تشير إلى أحقية الإقسام بها بلفظة غير صريحة (البلد، البلدة)، "فإن الله تعالى جعلها حراماً آمناً، فقال في المسجد الذي فيها {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} ¹، وجعل كذلك المسجد قبله لأهل المشرق والمغرب، فقال سبحانه وتعالى {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} ²، فهذه الفضائل، وأكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم أقسم الله تعالى بها" ³.

وفي قوله تعالى (وأنت حلٌّ بهذا البلد) فيه من الإشارة إلى مكة "حال بهذا البلد، ساكن مقيم به، نازل فيه، كأنه تعالى عظم مكة وشرفها من جهة أنه عليه الصلاة والسلام مقيم بها" ⁴.

وقد ورد عن الفيروز آبادي أن البلدة في قوله تعالى "فالمقصود بمكة شرفها الله تعالى وكل قطعة من الأرض مستحيزة عامرة أو غامرة، والبلد في اللغة الصدر، أي صدر القرى" ⁵، وألفاظ القرية كثيرة دالة في أكثرها على مكة، ومنه قوله تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} ⁶، فلفظ القرية في القرآن قصد به البلدة المسكونة سواء كانت صغيرة أو كبيرة، وهنا في سياقها دالة على (مكة) بعينها، ومنه أيضاً ما جاءت فيه الدلالة على ذكرها بلفظ غير صريح (قرية) وذلك ما جاء في سورة محمد في قوله تعالى {وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ} ⁷، فالمراد بالقرية في هذا السياق هو ذكر مكة المدينة المكرمة.

ومن الدلالة على مكة باستخدام الاسم غير الصريح، ما جاء في سورة التين نحو قوله تعالى {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} ⁸، فقد فسره بعضهم بأن ذكر البلد الأمين لا بدَّ عائد في أكثر ما يدلُّ عليه

¹ سورة آل عمران، الآية 97.

² سورة البقرة، الآية 144.

³ مفاتيح الغيب، الرازي، 31/164.

⁴ المحرر الويز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 5/483.

⁵ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، 3/94.

⁶ سورة النحل، الآية 112.

⁷ سورة محمد، الآية 13.

⁸ سورة التين، الآية 3.

إلى (مكة)،" المراد بقوله تعالى هو القسم والإشارة إلى هذا البلد، فقد أقسم به في سورة التين¹ إذ إن المعنى الكامن وراء هذا التوظيف للفظ (البلد الأمين) هو أن بلد (مكة) أو دولة (مكة) كانت آمنة محمية من أعدائها الذين كانوا يحاربون أهلها، ويفعلون كل ما يمكن أن يضرّ بأهلها ويسيء إليهم من العذاب، فقد لاقى المؤمنون منهم الأفعال التي تدلُّ على ما جاء مؤكداً في سياق النص القرآني بأنهم قد ظلموا أنفسهم قبل أن يظلموا الناس من حولهم².

كما أن ما ورد في سورة الإسراء في ذكر (المسجد الحرام) ما يعدُّ من الألفاظ غير الصريحة التي ركزت على فعل الإسراء المعجزة الإلهية في المكان المقدس (مكة)، فقد تعددت الروايات وآراء المفسرين حول تفسير آلية الإسراء، إلا أنهم يتفقون أنها قد وقعت في (مكة)³. فالإسراء حاصل في مكة، حيث أسري بالرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس⁴.

فقد ارتبط نزول سورة الإسراء بحدث كبير وكان له صدها الواسع بين الناس، وهذا الحدث هو المعجزة الكبرى الثانية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عروجه إلى السماء فيما عُرف بعد ذلك بـ (الإسراء والمعراج)، إذ يذكر المفسرون أن هذه الحادثة واقعة بلا شك في مكة، وقد كان "ذلك بمكة حيث صلى المغرب في المسجد الحرام ثم أسري به في ليلته ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام"⁵.

وقد جاء اللفظ غير الصريح (المسجد الحرام) دالاً على دولة (مكة) ومنه ما جاء في سورة الإسراء في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁶، فقد اختلفت الآراء بشأن كيفية

¹ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، 1/142.

² ينظر: الإمكان العقلي لمعجزة الإسراء والمعراج القرآنية، محمد نعيجات، ص 1558.

³ ينظر: الإمكان العقلي للإسراء والمعراج، ص 1560.

⁴ الإمكان العقلي لمعجزة الإسراء والمعراج القرآنية، منى هدايات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص 1557.

⁵ مجمع البيان، ٦/٢٤٧.

⁶ سورة الإسراء، الآية ١.

الإسراء، إلا أنهم أجمعوا على تحديد مكان الحدث وما يدل عليه قوله تعالى في (المسجد الحرام) أي ما يدلُّ على (مكة) بشكل غير صريح¹.

ومن جانب آخر فإنَّ لهذه السورة ، سورة الإسراء الفضل في الإشارة إلى موضوعات السور المكية من جانب، وموضوعات السور المدنية من جانب آخر، فقد أضافت إلى اشتغالها على موضوع التوحيد والدعوة إليه ، وسأقت بذلك الأدلة التي هي من خصائص السور المكية، فقد اشتملت على الدعوة إلى التمسك بالآداب ومكارم الأخلاق، وهذا ممَّا يرجح القول بأنَّ هذه السورة "من أواخر العهد المكي وهي ممهدة للعهد المدني، حيث استقرت الدعوة في المدينة ونزل القرآن يرسم سياسة المسلمين الداخلية والخارجية"².

وعلى الرغم من ارتباط هذا النزول بحدث هام كان مثار الجدل والاختلاف في كیفته وكيف تم، كما أنهم قد اختلفوا في السنة التي أسري بها الرسول الكريم ، فتعددت أقوالهم في هذا الأمر ما بين السنة الثانية للبعثة إلى السنة الثانية عشرة منها، وهي أقوال غالباً ما يكتفي المفسرون في ذكرها دون التعليق عليها، "نزلت السورة بالسنة الحادية عشرة للبعثة قبل الهجرة بسنة، ويعدّها من أواخر ما نزل بمكة"³.

فقد عدَّ أنَّ لسورة الإسراء الأهمية الكبيرة في أنها قد نزلت تخصصياً في مكة ، ودلَّ الإسراء الذي كان للنبي صلى الله عليه وسلم من مسجد لآخر، فيما يدلُّ على حقيقة الحدث في دولة (مكة) وإن لم يكن ذلك مصرّحاً به باللفظ الصريح لمكة في قوله تعالى.

ولعظيم حدوثها وارتباطها بقدسية (مكة) فإنها قد تميّزت بكثرة المصوغات التي تناولتها فيما يخص العقيدة والسلوك الصحيح للمؤمن ، ويكفي أنها معجزة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم في رحلته من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والتي عُرفت بـ (الإسراء) ومن ثم رقيّه من بيت المقدس إلى السموات العلى فيما عُرف بـ (المعراج).

¹ ينظر: الأماكن العقلي لمعجزة الإسراء والمعراج، ص 1570.

² تفسير سورة الإسراء، ص ١٤.

³ تفسير سورة الإسراء، ص ١٤.

ومن الألفاظ غير الصريحة الدالة على دولة (مكة) ما جاء في لفظ البيت العتيق في سورة الحج في قوله تعالى {ثُمَّ لِيُقْضَىٰ لَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُؤُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} ¹، فالمقصود بالبيت العتيق هو الإشارة إلى (مكة) وما يتم من مراسم للحج من الطواف وسواه ، وقد تفاوتت الآراء حول تسميته بالعتيق، ومنه "سُمي عتيقاً لأنه اعتق من غرق الطوفان، و العتيق الكريم ، والعتق هو الكرم وقد فسره البغوي في معالم التنزيل أنَّ المقصود به (وليطوفوا بالبيت العتيق) "فقد أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الإفاضة يوم النحر ، والطواف ثلاثة، طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه" ²، وقد أشير إلى أن تسميته عتيقاً لأن "الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر جبار قط" ³.

ومن الروايات بشأن تسميته بالعتيق لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس للطواف في مكة ، ومنه أيضاً ما جاء في أن لتسميته عتيقاً إشارة إلى أن الله قد أعتقه من الغرق و الهلاك في أيام الطوفان، وقد القرطبي أن "في قوله تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) معناها ليطوفوا ببيت الله الحرام" ⁴.

والمعنى واحد في أن تسميته بالعتيق لأنَّ الله عزَّ جلاله أراد أن يعتقه، وما يهمننا في هذا المجال الدلالي لتوظيف لفظة (البيت العتيق) الإشارة إلى الدولة (مكة) والتي كانت مكاناً لطواف الناس من كل الأماكن إليها قاصدين فيها التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ لأنها المدينة المعظمة كما عظمها الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم، كما جاء في التفسير الكبير للإمام الطبراني أن في قوله تعالى "وليطوفوا بالبيت العتيق ما يعني طواف الزيارة بعد التروية، أما يوم النحر وما بعده فيسمى طواف الإفاضة ، والعتيق القديم: لأنه أول بيت وُضع للناس، وقيل: أعتق من أبوي الجبابرة ،

¹ سورة الحج، الآية ٢٩.

² معالم التنزيل، البغوي، ٢/١٦٣.

³ معالم التنزيل، البغوي، ٣/٦٨.

⁴ الجامع لأحكام القرآن، ٣/٨٥.

فلا يظهر عليه جبار قط إلا أذله الله ، ومن تفسير ذلك ، حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أتى وادي عسفان قال: لقد مرّ بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم .. يحجون البيت العتيق" ¹.

ومه أيضاً اللفظ غير الصريح (الوادي) في سورة إبراهيم العائد في ذكره إلى دولة (مكة) ومنه ما جاء في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ²، فالمقصود بلفظة (الوادي) الواردة في سياق الآية الكريمة الإشارة إلى دولة (مكة) وتفسير هذه التوظيف لهذه اللفظة ما جاء في معالم التنزيل عن البغوي، إذ يذكر مناسبة الآية الكريمة من أنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام قد أتى بابنه من الشام إلى مكة ، فلم يجد سكناً ولا مجيب، فدعا ربه فقال "رب إني أسكنت من ذريتي، وقوله: بوادٍ غير ذي زرع ، لأنّ أرض مكة لا تصلح للزراعة، (أسكنت من ذريتي ولداً بوادٍ غير ذي زرع)، وهو مكة ، لأن مكة واد بين جبلين (عند بيتك المحرم) سمّاه محرماً لأنه يُحرم عنده ما لا يحرم عند غيره" ³، وهذا الدعاء قد صدر من إبراهيم عليه السلام بعد زمان من بناء الكعبة ، والواد في التفسير هي الأرض بين الجبال وهي وادي مكة.

وفي هذا التوظيف للفظ غير الصريح ما يدلُّ على عظيم ذكر الدولة (مكة) ، حيث دعا فيه سيدنا إبراهيم ربه مناجياً له يطلب الرحمة فيما حلَّ به في ذلك المكان ، وذلك ما يعكس أهمية الإخبار، إخبار الله عزَّ وجلَّ عن سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه سأله في دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى المساكن ذريته الذين أسكنهم بوادٍ غير ذي زرع عند بيته المحرّم.

وقد ورد من الألفاظ الدالة على دولة (مكة) لفظ (معاد) في سورة القصص في نحو قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۗ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ⁴، فالمعنى من قوله تعالى أنّ الذي فرض الأحكام وأمر بتبليغه للناس والدعوة لا

¹ التفسير الكبير، الطبراني، 4/268.

² سورة إبراهيم، الآية 37.

³ معالم التنزيل، البغوي، 5/168.

⁴ سورة القصص، الآية 85.

يليق بحكمته أن تكون الحياة هي الحياة الدنيا فقط، فإذا كان لا بدَّ أن يُثاب العباد وبعاقبوا، فلا بدَّ أن يردون إلى معاد.

وقد جاء في تفسير البغوي أنَّ المقصود بقوله (لرأدك إلى معاد) "هو مكة، ومعاد الرجل، بلده، لأنه ينصرف ثم يعود إلى بلده، وذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجراً إلى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع آمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأتاه جبريل عليه السلام، وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولذك؟ قال: نعم، قال: فإنَّ الله تعالى يقول: إن الذي فرض عليك القرآن لرأدك إلى معاد".¹

كما أنَّ من ذلك ما يقف عند لفظة (معاد) ما يجد أصحابها أنها ليس بالضرورة أن تكون عائدة إلى (مكة) بل قد تكون عائدة إلى (يوم القيامة) أو (الجنة)، ومنه أنه لا ينفي احتمال أن تكون عائدة إلى مكة، بمعنى إنَّ لهذه اللفظة جميع الأوجه التي يمكن أن تكون عائدة في ذكرها إلى الاسم الصريح باعتبارها أسماء غير صريحة الذكر، موظفة في سياقها، عائدة إلى ما هو صريح لحكمة ارتضاها الله وأرادها في النص القرآني.

اللفظ	النص	السورة	آية	نوعه	الدلالة
القرية	وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلِهَا	النساء	7 5	غير صريح	
قرية	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا	النحل	1 12	غير صريح	مكة

¹ معالم التنزيل، البغوي، ٣/١٥٨.

				يَصْنَعُونَ	
غير صريح	9 2	الأنعام		وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا	أم القرى
غير صريح	7	الشورى		وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ	أم القرى
غير صريح	1	البلد		لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ	البلد
غير صريح	9 1	النمل		إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ	البلدة
غير صريح	1 3	محمد		وَكَايِنَ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ	قرية
غير صريح	3	التين		وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ	البلد
غير صريح	3 7	إبراهيم		رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ	الوادي
غير صريح	1 20	التوبة		مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ	المدينة

				ثِيَابًا إِلَّا كُنْتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ	
	غير صريح	60	الأحزاب	لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا	المدينة
القدس	غير صريح	58	البقرة	وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ	القرية
	غير صريح	58	البقرة	وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ	القرية
	غير صريح	161	الأعراف	إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ	القرية
مصر	غير صريح	82	يوسف	وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا	القرية
	غير صريح	123	الأعراف	قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۗ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	المدينة
	غير صريح	30	يوسف	وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	المدينة
	غير صريح	20	القصص	وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ	المدينة

القريّة	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ	الزخرف	3 1	غير صريح	الطائف
قرية	وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ	العنكبوت	3 1	غير صريح	سدوم
القريّة	إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ	العنكبوت	3 4	غير صريح	
قرية	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ	النمل	5 6	غير صريح	
المدينة	وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ	النمل	4 8	غير صريح	ثمود
المدينة	وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ	القصص	1 5	غير صريح	
القريّة	وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ	الأعراف	1 63	غير صريح	آية

خلاصة الفصل الثاني:

إن لدراسة الأسماء الصريحة وغير الصريحة من ألفاظ الدولة قد أوحى بأهمية إيجاد القواسم المشتركة بين ألفاظ الدولة من القرية والمدينة ، وان كانت القرية قد اقترنت فهمها بما أشار إليه النص القرآني في إشارة واضحة إلى هلاك أهلها وعرض لمظاهر الظلم الذي مارسوه بحق أنفسهم وبحق من مارسوا عليه آية هذا الظلم.

فكل سياق نصي كان قد وردت فيه لفظ صريح أو غير صريح فيه من التتبع للمعنى السياقي الدلالي وما يفيد في معرفة المقصود من هذا التوظيف للفظ الدولة.

كما أن الأسماء غير الصريحة قد أدت مؤداها الدلالي في التوظيف الفعلي الدال على ألفاظ القرية. والأمر الذي عكس أهنية الوقوع على دلالة عدم التصريح والاكتفاء بالإشارة التي يفهن منها اللفظ المراد به خلال التوظيف السياقي النصي الدال على تضمين ألفاظ الدولة بشكل غير صريح، أي ما يحتاج فيه إلى تأويل لمعرفة المكان المقصود به خلال ذلك.

الفصل الثالث

الألفاظ التي دلت على ترؤس الدولة في القرآن الكريم

المبحث الاول: الملوك من الأنبياء

المبحث الثاني: الملوك من غير الأنبياء

المبحث الأول: الملوك من الأنبياء

فسر التركيز على حضور هذه الأسماء من الملوك وغير الملوك أهمية المطابقة لآلية الحكن والترؤس والملك من ناحية أخرى، إذ يقتضي تفسير إقامة العدل من خلال الاعتماد على هذه الألفاظ أن ذكر الملوك من الأنبياء وغير الأنبياء قد أسهم في تفسير ما كان عليه الملوك من الصفات الخيرة وخلافها. لتبرز لنا الثنائية المتصارعة بين قوى الخير وقوى الشر فيما عرضه النص القرآني خلال التوظيف لهذه الألفاظ.

و شكّلت دلالة الألفاظ المتضمنة لمعنى ترؤس الدولة في القرآن الكريم أهمية في الالتفات إلى معرفة الملوك من الأنبياء الذين تمت الإشارة إليهم في سياق النص القرآني في المهمة التي أوكلت إليهم بتفويض إلهي له حكمته ودلالته في كل ترؤس لملك من الأنبياء قد تمّ تفسيرها سياقياً في النص القرآني، والمَلِك هو اسم من أسماء الله الحسنى، كما يعني المَلِك ما يطلق على الحاكم الأعلى في أي جماعة، فقد ارتبط لفظ (المَلِك) باسم نبي في الإشارة إلى ملكه ترؤسه الدولة في القرآن الكريم.

فالدلالة للفظ (الملوك) أو (الملك) كما نجدها في سياقها تدلُّ على أنَّ الله عزَّ جلاله قد مكَّن بعض الملوك والتمكين لهم فيه من معنى التثبيت لدعائم الملك في مؤازراتهم والاعتراف الإلهي به، حيث "إنَّ قضية الملك المتَّصلة بحكم الناس بعضهم لبعض وسياسة البلاد والعباد، لم يغفلها القرآن الكريم ولا السنة المطهَّرة، ولم تترك عبثاً تتحكَّم بها عقول العباد، وخاصة أنَّ العقول مختلفة متباينة..".¹

فقد خرجت الغاية من توظيف حديث القرآن الكريم عن الملوك لغايات تكمن في الحاجة إلى تعزيز الاعتبار والعظة على وفق ما جاء ماثلاً في نحو قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾²، بمعنى إنَّ التركيز على الملوك في القرآن الكريم كان بحكمة إلهية لتوجيه العقول والإرشاد، "ثم كانت لهم العاقبة الحسنى والنصر من الله على أعدائهم".³

¹ الإسلام وأوضاعنا السياسية، عبد القادر عودة (ت ١٣٧٣ هـ)، ١/١٣.

² سورة يوسف، الآية ١١١.

³ المستفاد من قصص القرآن والدعاة، عبد الكريم زيدان، ص ٦.

فالدراسة الدلالية للألفاظ الدالة على ترؤس الدولة من الملاك الأنبياء فيها من التركيز على الهدف من ذكر القصص المنسوبة للملوك الأنبياء ، حيث "يهدف القرآن الكريم من ذكر القصص إلى أهداف تربوية وأخلاقية وعلمية وكونية".¹

ومن الملوك الأنبياء ما تمّ التركيز على خاصية ملكه ونبوته وتحديد قصته (النبي داوود) عليه السلام، فهو ملك ونبي وخليفة في الأرض، جعله الله ملكاً يحكم وفق حكمة الله، فقد كان داوود عليه السلام من الأنبياء والذين أخذوا صفة (الملك)، وقد تناول التوظيف النصي في القرآن الكريم ملك داوود عليه السلام في عدد من الآيات القرآنية، ومنها ما جاء في سورة البقرة {فَهَرَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ}.²

وهذا السياق لتضمين معنى الملك للنبي داوود عليه السلام كان قد فتح تعدداً في اختلاف تفسير آية منح (الملك) الذي أتاه الله تعالى للنبي داوود عليه السلام ، ومنهم ما قال أنه "هو ما صار إليه من ملك طالوت وخزائنه..³، وكما شاع حول ملكية النبي داوود عليه السلام أنه "هو ملك بني إسرائيل في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها"⁴، فنعمة الله تعالى التي اقتضت منح النبي داوود عليه السلام الملك بارزة في السياق القرآني ومؤكدة في التفسير الدلالي، كما جاء في قوله تعالى (وأناه الله الملك..).

وقد كثرت التفسيرات في كيفية وصول (الملك) للنبي داوود عليه السلام، "وبعد هلاك جالوت استقرت السلطنة لداوود سبع سنوات كما يقول تعالى (وأناه الله الملك والحكمة)، فإنَّ الله تعالى منح داوود الملك والحكمة ، يعني النبوة ، أو علمه مما يشاء، وهو علم لا يتوفر إلا عند الأنبياء"⁵، وبذلك فإنَّ تخصيص العلم ومنحه للنبي داوود عليه السلام ما ذهب خلاله المفسرون إلى أنَّ العلم الذي كان للنبي داوود عليه السلام قد تعددت أنواعه، "المراد من العلم هو الدين وعلم الحدادة والصياغة بدون استخدام النار، وعلم الألحان ، وقد ورد في الخبر أنَّ داوود عليه

¹ قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن وردّ شبهات)، فضل عباس، ص ٦٠.

² سورة البقرة، الآية ٢٥١.

³ معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين البغوي ١/٣٤٠.

⁴ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد السعود، ١/٢٤٤.

⁵ تفسير القمي، علي القمي، ١/٢٨.

السلام عندما كان يقرأ الزبور، فإنَّ الوحوش والطيور كانت تجتمع حول صومعته، فتفتح الطيور أجنحتها فوق رأسه..¹

فلا غرابة في أن يتحدث القرآن الكريم إذن عن الممالك والملوك، وأن يقدم لنا صورة واضحة لعالم المدينة والسياسة والحكم، وذلك في أعظم خطاب معرفي علمي يرسم لأتباع النبوة المحمدية ما سيواجهونه في حياتهم، وهم مكلفون بحمل أعظم رسالة في طريقهم التمكين في الأرض، فقد بعث الله عزَّ جلاله الأنبياء والرسل في العواصم والدول التي دلت على ترؤسهم لهذه الدول بما يفسر الحضارة التي وصلت للبشر، وما جاء في قوله تعالى يؤكد تلك الحكمة من التروؤس من قبل الملوك الأنبياء وغير الأنبياء، فما جاء في قوله تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْتَمِسُ عَلَيْهِم بَيِّنَاتٍ ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} ². " وقد سبق القرآن الكريم كل النظم المعاصرة في تناوله لمقومات الحكم والتروؤس التي تسعى لتحقيق التنمية الشاملة في المجتمع بما تضمنه في طريقة الحكم"³

وقد فسّر الملك الذي أوهب للنبي داوود عليه السلام كما جاء في قوله تعالى {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ} ⁴، وبالنظر إلى الملك الذي كان للنبي داوود عليه السلام في إحكام الأمور وتيسير الأمور للناس من حوله، فقد تفاوتت الآراء حول تفسير هذه الملكية المشدودة، ومنها أن المقصود قد "ملكناه تقوى الدين وأسباب سعادة الآخرة"، وتشديد ملكه في الدين والدنيا⁵، وقد جاء في تفسير ابن كثير أن الملك ما "جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك"⁶.

ومن ناحية أخرى فإنَّ دلالة (الملك) والتروؤس للدولة جاءت بمعنى الخليفة، وذلك نحو ما جاء مؤكداً في قوله تعالى {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ

¹ أطيب البيان في تفسير القرآن، السيد عبد الحسين طيب، ١/٨٤٤.

² سورة القصص، الآية ٥٩.

³ مقومات الحكم الرشيد من خلال قصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، سعيد ناجي ص 341.

⁴ سورة ص، الآية ٢٠.

⁵ مفاتيح الغيب، محمد الرازي، ٢٦/٣٧٨.

⁶ تفسير القرآن الكريم العظيم، ابن كثير، ٧/٥٠.

الهُوَى¹، فالتوسّع في الحقول الدلالية لألفاظ التروّس ما يشي بالفهم القريب بين لفظتي (ال خليفة) و(الملك) لأنهما تعبير عن قضية التمكين التي خصّها الله لنبيه داوود عليه السلام، ذلك أنّ الخلافة تعني "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارهما بمصالح الآخرة.."²، ولأنّ الإشارة إلى لفظ (الملك) واضحاً فكان التقاطع الدلالي مع مدلول لفظ (ال خليفة) ما يدلُّ على الاشتراك اللفظي للدلالة على الصفات التي خصّها الله عزّ جلاله للنبي داوود عليه السلام. بمعنى أن لفظ الخليفة ينتمي إلى نفس الحقل لدلالي للفظ (الملك).

وهذه المعطيات من أحقية الخليفة والملك للنبي داوود عليه السلام والمعاني التي أوحى بالقوة والشدة ما حقّ للخلافة والمُلك في الأرض بحق وحكمة، فقد ورد لفظ الملك والنبي داوود عليه السلام في القرآن في هيئات متعددة، تشي جميعها بدلالة التروّس للدولة ومنه أيضاً ما جاء في سورة الإسراء في قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا³﴾، المعنى الذي يؤكد أنّ خاصية المُلك والنبي والخليفة في الأرض كانت للنبي داوود عليه السلام على وفق مراد الله عزّ جلاله⁴.

ولعلّ الغاية من ذكر القصص والأحوال التي كانت لداوود عليه السلام من الصلاح وغيره للمقارنة مع الملوك، فالألفاظ التي تدلُّ على ورود داوود عليه السلام كملك حاكم، ما أشارت المصادر إلى أنّه قد ذُكر داوود عليه السلام في القرآن الكريم مرّات عدّة "فقد ذُكر داوود عليه السلام في القرآن الكريم (١٦) مرة⁵، جلّها في بيان فضل الله ونعمه عليه وهو الذي كان مع طالوت وقتل جالوت.

¹ سورة ص، الآية ٢٦.

² ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون ١/٢٣٩.

³ سورة الإسراء، الآية ٥٥.

⁴ ينظر: مقومات الحكم الرشيد، ص 36.

⁵ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ص ٢٦٤.

فكل إشارة جاءت في ذكر اسم النبي داوود عليه السلام كانت تعزيزاً لخاصية التروؤس والملك للدولة، "وقد وهب الله داوود فضل الحكمة والكتاب ، وأمر الجبال أن تردّد التسبيح معه ، وسخر له الطير والقدرة على تشكيل الحديد".¹

وما يهمننا في هذا المجال التدليل على أمر التروؤس للدولة وتفسير الدور الموكل للنبي داوود عليه السلام عن طريق التمكين له والحكم والقضاء بين الناس ، لأنّ الله عزّ وجلّ فسّر آية الحكم في قوله تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾²، المعنى الذي يفسّر أنّ داوود عليه السلام كملك لبني إسرائيل قد مثّل ملكه أعلى سلطة قضائية موثوقة عند الناس، وقد كان ملكاً وقاضياً حكيماً ذا حكمة عالية ، فالقاضي بين الناس إذا كان ملكاً لبلاد وهو نبي من الله ، فلا شك أنّ العدل سيعم المجتمع ويسوده عدم التفريق، ولذلك تم تخصيص الأنبياء الملوك بهذه الصفات "إنّ الله خلق أولي العزم من الرسل وفضلهم بالعلم".³

فكل مُعطى لتوظيف ألفاظ الملوك الأنبياء يفيد في توضيح قضية التروؤس للدولة والحكم ، ولا سيما أنّ الله تعالى قد أكسبه بعض الخوارق، ومنه ما جاء في قوله تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۖ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾⁴، فما كان لداوود عليه السلام ما جعل الرعية تلجأ إليه ، فهذه المعجزات من التسبيح "والتحقيق أنّ تسبيح الجبال والطير مع داوود المذكور تسبيح حقيقي ، لأنّ الله - جلّ وعلا - يجعل لها ادراكات تسبّح بها ، يعلمها هدهد - جلّ وعلا - ونحن لا نعلمها، وكما قال تعالى ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ خَلِيماً غَفُوراً﴾⁵،⁶

والمتتبع لأشياء التي نسبت إلى النبي داوود عليه السلام من تعليمه للصناعات التي أفاد تيسير حياة الناس ما يؤكد تفسير التروؤس للدولة كما يفهم في سياق النص القرآني، ومنه ما تمّ

¹ قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول، محمد الشعراوي، ص ٣٦٢.

² سورة ص، الآية ٢٠.

³ بصائر الدرات، أبو عفر محمد الصفار، ص ٢٤٨.

⁴ سورة الأنبياء، الآية ٧٩.

⁵ سورة الإسراء، الآية ٤٤.

⁶ ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي، ٤/٢٣١.

إسناد تعلمه إليه في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَآهُ صِنْعَةَ الْبُوسِ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ ۚ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾¹، "والمقصود بصنعة اللبوس هي: صنعة الدروع، و سُميت الدروع لبوساً لأنها تُلبس"²، كل الحقائق تشير إلى أنَّ الملك والنبي داوود قد أُرسِل إلى بني إسرائيل وقد كان يغلب عليهم الصلاح في زمانهم.

وكل ورود للفظه الملك النبي داوود عليه السلام في موضع ما يتم تفسيره وفق الدلالة المقصودة من ذكر اسمه عليه السلام، وجميعها قد أدت أحقية الملك والترؤس للدولة التي حكمها عليه السلام بتدبير وحكمة من الله تعالى كان قد خصّه بالعلم وتسيير شؤون العباد لجعله خليفة الله في الأرض ماثلاً في النص القرآني، فالمُلك وإدارة الدولة من المسائل التي عكسها التفسير النصي للملوك الأنبياء ودورهم في تدبير مصالح الناس وتأمين الاستقرار وصلاحهم في الدنيا والآخرة³.

ومن الملوك الأنبياء الذين كانوا لهم دوراً في الترؤس للدولة وامتلاك صفتي (المُلك والنبوة) ما منحه الله عزَّ جلاله للنبي سليمان عليه السلام، فقد جاءت لفظة (المُلك) للتعبير عن حالة ترؤس الدولة التي خصّها الله للنبي سليمان عليه السلام ومنه ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۗ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَانَ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۗ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁴.

¹ سورة الأنبياء، الآية ٨٠.

² بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد الفيروز آبادي ٤/٤١٨.

³ ينظر: في ظلال القرآن، 2003، 28/.

⁴ سورة البقرة، الآية ١٠٢.

فقد أشير إلى أنّ مُلك سليمان عليه السلام قد فُسرّ خلال قوله تعالى ما يمكن أن يُفهم من انتشار السحر، "تحدثت الآية الكريمة عن ملك سليمان عليه السلام، والملكين (هاروت وماروت) اللذين أنزلا في زمن انتشار السحر لدى الملوك".¹

فورود اللفظة الدالة على ترؤس الملك النبي للدولة واضح في سياق النص القرآني من أنّ صفة المُلك قد حُقّت للنبي سليمان عليه السلام، فقد كانت له هذه الصفة بما يؤكدتها قوله تعالى، وقد وجد أنّ توظيف لفظة (الملك) إلى النبي سليمان عليه السلام فيها دليل على بيان شرعه ونبوته وحاله.²

وقد أشير إلى أنّ في ذكر اللفظ الدال على ترؤس الدولة في خاصية (الملك) التي خصّها الله للنبي سليمان عليه السلام ما يدلُّ "على تثبيت ملك سليمان بالتعويذات في زعمهم"³، فما جاء من ألفاظ دالة على ترؤس الملوك من الأنبياء (داوود و سليمان) عليهما السلام وذلك في سياق طويل تبيّن فيه أنّ الله تعالى أعطاهما الحكم، والقضاء للفصل بين الناس وأتاهما الحكمة والعلم، وأنعم على داوود عليه السلام وكذلك سليمان الذي أعطاه ملكاً لم يعطه أحد قبله كما قصّ القرآن.

وفي سياق قرآني يتضح لنا أنّ الملك لن يكون من بعده عليه السلام وذلك في نحو قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ، قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾⁴، فطالب الملك في نحو ما جاء في النص القرآني دليل واضح على أنّ الملك كان للنبي سليمان عليه السلام ، وقد جاء في تفسير ابن كثير "والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، وهذا هو ظاهر السياق من الآية..".⁵

¹ موسوعة العلامة الإمام مدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، محمد الألباني، ٣/١١٠٥.

² ينظر: البحر المحيط في التفسير، محمد أبو حيان ١/٥٢٣.

³ زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ، ١/٣٣٨.

⁴ سورة ص، الآية ٣٤-٣٥.

⁵ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/٦١.

وما يهمننا من هذا التوظيف أن لورود لفظة الملك النبي ما يدلُّ على ترؤس الدولة كما قدّم وفق المفهوم من النص السابق ، وهذه حكمة الله عزّ جلاله في أن يكون الملك للنبي داوود عليه السلام و للنبي سليمان عليه السلام، "من مقومات الملك للنبي سليمان عليه السلام ما كان يتعلق بالبنية والشخصية كالعلم والذكاء واليقظة والحزم"¹ بمعنى إنَّ الألفاظ التي دلت على ترؤس الدولة والحكم هو ما اقتصر ذكره على اسم النبيين (داوود، سليمان) عليه السلام، كما أننا نجد اجتماعاً لذكر النبيين في النص القرآني بما يؤكد التروؤس والحكم لكليهما ، ومنه ما جاء في قوله تعالى {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ

وهذا السياق القرآني يفسر الحكم الذي كان للنبيين ، إذ عكس التوظيف لاسم الملك النبي الأمر والتوجيه ، ومنه ما جاء في ذلك يوضح الحكم للبلاد و التروؤس، { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ }²، واللافت أن أسماء الملوك الأنبياء الدالة على حالة التروؤس والحكم لشؤون البلاد ما جاء فيها التصريح لاسم حيناً وعدم التصريح حيناً آخر³.

فقد مكن الله بعض الملوك في الأرض لما يتقاطع مع معنى تثبيت دعائم الملك ومفهوم الدولة في القرآن الكريم لأنَّ التشريع الإلهي قد اقتضى هذا النوع من التوظيف للألفاظ الدالة على الدولة وتفسير ما ينتج عن ذلك من أسباب الحكم والملك في بقاع الأرض والبلاد الواسعة التي جعل الله لها ملوكاً يرأسونها .

وقد أشار النص القرآني إلى ما كان عليه الملوك الأنبياء مما أهلهم لهذه المهمة في الحكم و التروؤس ، ومنه ما جاء في قوله تعالى {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعَمَ الْعَبْدِ ۚ إِنَّهُ أَوَّابٌ }⁴، المعنى

¹ مقومات الحكم الرشيد من خلال قصة سليمان عليه السلام، ص 348.

² سورة النمل، الآية ٢٩-٣٢.

³ التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 210.

⁴ سورة ص، الآية ٣٠.

الذي يرسخ فكرة ما تُسب إلى النبي الملك داوود عليه السلام وما تُسب إلى ابنه سليمان عليه السلام ، فكلاهما قد أديا مهمة الملك والحكم . " فالحاجة إلى التروؤس والحكم لشؤون البلاد، فالمجتمع الذي يكون بعيداً عن الرشد يستعبد من قيل الاستكبار والطغيان، ويعيش بعيداً عن النهوض الحضاري، فقد ذكر القرآن الكريم أمثلة عن القيادة الرشيدة للملوك¹

فكل مجال نصي يرد فيه اللفظ الصريح لأسماء الملوك من الأنبياء فيه إشارة إلى معنى معين يفسره السياق النصي، ذلك أن أحوال الحكم اقتضت تدبير شؤون العباد بما فيه خير صلاحهم، ومنه ما نجده من حادثة إسلام (ملكة سبأ)، فقد جاء في سورة النمل {قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}²، فقد ذكر اسم النبي الملك سليمان عليه السلام في آيات كثيرة ومصرح باسمه عليه السلام .

وفي الحوار القائم بين ملكة سبأ وما جاء في الكتاب عن النبي سليمان ما يشرح دعائم الملك، وقد فسّر قوله تعالى {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}³، أن الهدهد قد وصف للنبي سليمان عليه السلام أن عرش ملكة سبأ كان عظيماً، "كما كان عليه السلام يختار الأكفأ في تنفيذ المهام ، فقد اختار الهدهد بإيصال الكتاب إلى ملكة سبأ"⁴ كما فسّر ما جاء في كيفية التلقي للكتاب أن الحاكم كان ناجحاً، لا يُستبد بالرأي أو يواجه بالقمع.

المعنى الذي يعزّز آلية التروؤس والحكم للدولة في ما جاء عن موقف ملكة سبأ مع الملك سليمان عليه السلام، ومنه ما جاء في نحو قوله تعالى {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}⁵، فالتمهيد لما جاء به كتاب سليمان كان قد جعل من ملكة سبأ تلك الحكمة في الدخول في الدين،

¹ مقومات الحكم الرشيد، ص 349.

² سورة النمل، الآية ٤٤ .

³ سورة النمل، الآية ٢٣ .

⁴ شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني، رأفت رائف، ص 181.

⁵ سورة النمل، الآية ٣٤-٣٥ .

وهو دين الإسلام الذي جاء به النبي سليمان عليه السلام. " لتؤثر في قلب الملكة، وتقودها إلى الإيمان بالله والإذعان لدعوته"¹

وما جاء في النص القرآني يفسر حالة الحكم للبلاد، إذ إنَّ النبيين من الملوك داوود عليه السلام وابنه سليمان عليه السلام قد أرسلهم الله لبني إسرائيل، حيث إنَّ التاريخ قد أثبت وجود بني إسرائيل في تلك الحقبة من عصر داوود عليه السلام في بيت المقدس²

بمعنى، فقد كان الزعم بوجود الحق التاريخي لليهود في الأرض المقدسة ما أخذ أشكالاً متشعبة للتفسير عند الدارسين ، وأغلبها ما يتعلّق أو يُشير إلى أنّ تلك الفترة التي حكم داوود فيها بيت المقدس، وكان قد أسس دولة بني إسرائيل وورثه ابنه سليمان وبقيت دولتهم قوية نتيجة الحكم الذي وازن الأمور واستطاع ضبط الشؤون لكافة العباد³.

فقد جاء تفسير التوريث للحكم من الأب إلى الابن في حضور النص القرآني الذي يشهد على أحقية الحكم و التروؤس في قوله تعالى {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ} وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ⁴، المعنى الذي يجعلنا نقف عند مدلول النص القرآني لفهم طبيعة التوريث "فلا يمكن أن يكون المال وحده الذي ورثه"⁵.

إذ تعددت الأحاديث التي تثبت صحة الوراثة من الأب إلى الابن، أي أنّ قضية التوريث مقصود بها انتقال الحكم من الأب إلى الابن على وفق مشيئة الله عزَّ وجلَّ لتسيير أمور العباد، فقد جاء عن ما روي به في أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن التوريث عند الأنبياء لا يتخذ الشكل المتعارف عليه، أي من توريث المال، ومن هذه الأحاديث المروية عن الرسول الكريم "إنَّ معشر الأنبياء لا نورث"⁶.

¹ شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني، رأفت رائف، ص 181.

² الأوس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مير الدين الحنبلي، 116/1.

³ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، 122/14.

⁴ سورة النمل، الآية ١٦.

⁵ مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٤/٥٧٤.

⁶ مسند أحمد بن حنبل، ابن حنبل، رقم الحديث ٩٩٧٢، ١٦/٤٨.

ونظراً لأنه النبي الذي قدّمه الله عزّ وجلّ له خاصية النبوة إلى جانب الحكم والملك و التروؤس، فقد كان ذلك كله لإيمانه وعبادته، قوله تعالى { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا }¹، كما أنه استحق ذلك بفضل من الله وكان نتيجة لتعرضه لعدة اختبارات كما جاء في قوله تعالى { وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ }²

وبناء على ذلك ، فقد كان للنبي سليمان عليه السلام أنه أصبح ملكاً للجن والإنس والطير بفضل من الله ، ولما قام عليه من الإيمان الخالص، فقد جاء في النص القرآني ما يدلُّ على أنه ملك الجن و الإنس والطير { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ }³.

فقد سُحِّرت مظاهر وكائنات كثيرة لخدمة الملك النبي سليمان عليه السلام وذلك للمساعدة في المهام التي أوكلت إليه من الحكم للبلاد بما تيسر له بفضل من الله وعزته ونصره له على الأعداء الذين حاولوا الفتك بنظام حكمه عن طريق الكذب والادعاء والتلفيق عكس ما كان عليه حكم سليمان عليه السلام.

ومن الألفاظ الدالة على الملك والحكم والتروؤس للدولة ما جاء في لفظة وزير في القرآن الكريم ومنه أنّ الوزير في الدلالة اللغوية " والوزير: حياً الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه، وقد استوزره وحالته الوزارة، ووزره على الأمر: أعانه وقوّاه، والأصل آزره...⁴ ومنه كان هذا المهني لمن خصّه الله عز وجل بالوزارة في النص القرآني، ومنه ما جاء في قوله تعالى " واجعل لي وزيراً من أهلي"⁵ بمعنى المساندة والإعانة على تيسير الأمور.

لفظة (الوزير) في قوله تعالى " ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً"⁶ وقد جاء أنّ تفسير الوزير في قوله تعالى: ابتعثه وجعل مع أخيه هارون وزيراً ونبياً مؤازراً ومؤيداً

¹ سورة البقرة، الآية ١٠٢.

² سورة ص، الآية ٣٤.

³ سورة النمل، الآية ١٧.

⁴ لسان العرب، 5/283.

⁵ سورة طه، الآية 29.

⁶ سورة الفرقان، الآية 35.

ناصراً¹ وهذا ما فتح له الباب على مصرعيه لتولييه أي منصب تختاره نفسه من مناصب الدولة العالية، فهذا المفهوم من التمكين ليوسف عليه السلام، أي اختر ما تحب لنفسك من مناصب الدولة العالية²

ومن الألفاظ التي خصت الملك والحكم من الأنبياء ما كان ليوسف عليه السلام من نسبة لفظة الوزير، فقد جاء النص القرآني شاهداً على أن النبي يوسف عليه السلام كان النبي الوزير حيث استطاع بمشورته وقيادته وحنكته أن ينقذ مصر وأهلها من هلاك محتم كبير. " هذا وقد وجد الملك في يوسف عليه السلام الأمانة والخبرة، فوافق على طلبه وسلمه مسؤولية إدارة الشؤون الاقتصادية وأصبح عليه السلام الوزير الأول في مصر وعزيزها وصاحب الكلمة النافذة فيها بعد الملك³

حيث جاء النص القرآني عاكساً خاصية الحكم والتمكين للنبي الوزير يوسف عليه السلام ومنه قوله تعالى " إنا مكنا له في الأرض وجعلنا له من كل شيء سبباً⁴، فقد كان للنبي الوزير يوسف عليه السلام كل دعائم التمكين في الأرض، فأعطاه الله سبحانه وتعالى السلطان القوي.

وقد كان لحكمه في مصر ما يدل على التمكين الخالص، وقد جاء ما يدل على الملك الذي كان له في قوله تعالى على لسانه داعياً " رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين⁵

وقد تعددت المواضع السياقية التي أشارت إلى مسألة التمكين للنبي الوزير ومنه بدليل قوله تعالى " وكذلك مكنا ليوسف في الأرض⁶ فقد قرّر الله سبحانه وتعالى تسلّم يوسف للوزارة من باب باب التمكين، "إن من شروط التمكين المهمة التي حققها يوسف عليه السلام واتصف بها في

¹ تفسير ابن كثير، 19/363.

² النبي الوزير يوسف من الابتلاء إلى التمكين، علي الصلابي، ص 248.

³ النبي الوزير يوسف من الابتلاء إلى التمكين، علي الصلابي، ص 357.

⁴ سورة الكهف، الآية 84.

⁵ سورة يوسف، الآية 101.

⁶ سورة يوسف، الآية 21.

حياته تقوى الله عز وجل¹ فقد تولى الوزارة في مصر، فأنقذ البلاد من المهالك لحنكته، ومن العلم الذي آتاه الله للنبي الوزير أنه استطاع أن يتحمل المسؤولية في ظروف شاقة، ولعلمه مع يقينه ما جاء يفسر قوله تعالى عن يوسف عليه السلام " قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم"² يقرر الله بأن استلام يوسف للوزارة هو باب التمكين له في الأرض وأنه رحمة أصابه بها، وأنه أجر دنيوي عاجل³

وقد فسره الشعراوي⁴ من شجاعة يوسف أن يستوزر الملك، بعكس فهم إداري ناضج لأنه لا يستطيع تنفيذ السياسات الاقتصادية التي تنتقد البلاد⁴

الملوك الأنبياء

اللفظ	النص	السورة	الآية	الدلالة
الملك النبي	فَهَرَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ	البقرة	51	داوود
الملك النبي	وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا	الإسراء	55	
الملك النبي	وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ	ص	20	
الملك النبي	وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۗ وَكُنَّا فَاعِلِينَ	الأنبياء	78 79	
الملك النبي	وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ	الأنبياء	80	

¹ النبي الوزير يوسف من الابتلاء إلى التمكين، علي الصلابي، ص480.

² سورة يوسف، الآية 55.

³ النبي الوزير يوسف من الابتلاء إلى التمكين، علي الصلابي، ص589.

⁴ تفسير الشعراوي، الشعراوي، ص400.

سليمان	102	البقرة	وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ	الملك النبي
	-34 35	ص	وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ، قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ	الملك النبي
	-78 79	الأنبياء	فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۗ وَكُنَّا فَاعِلِينَ	الملك النبي
	-29 32	النمل	قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ	الملك النبي
	102	البقرة	وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا	الملك النبي
	34	ص	وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ	الملك النبي
	17	النمل	وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ	الملك النبي

المبحث الثاني: الملوك من غير الأنبياء

لقد تعددت الألفاظ الدالة على الملوك الذين ترؤسوا الدولة من غير الأنبياء في القرآن الكريم، ومنهم ما كان مصلحاً ومنهم من كان مفسداً، ومن الملوك من غير الأنبياء ، ما جاء عن الملك الذي تم ذكره في بيان ملكه وهو الملك (طالوت)، وقد ورد ذكر ملكه في قوله تعالى ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۖ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۖ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۗ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ¹

فقد جاء في تفسير الملك لطلوت أنه ملك لبني إسرائيل ، وقد قصد بملكه "الإمرة على الجيش وإنَّ الله قد خصّه بالملك والإمرة معاً"²، فقد عُيِّن (طالوت) قائداً بتنصيب من الله، بمعنى أنّ طالوت أُضيف إلى قيادته العسكرية، أنه صار ملكاً لبني إسرائيل مع أنهم قد طلبوا من نبيهم تعيين قائد لهم للخلاص من جور الظالمين ، وعندما عُيِّن طالوت للقيادة والزعامة لم يجدوا في طالوت القوة والزعامة التي كانوا ينظرون إليها، "وقد قال لهم نبيهم: إنه اختار لهم طالوت بوصفه قائداً لهم، ولكنهم كانوا يرون معايير خاصة لا بُدَّ من توفرها في القائد، فقد كانوا يتصوّرون أنّ القائد يجب أن يكون شخصاً ثرياً، ولكن النبي ذكر لهم معايير أخرى للقيادة، وذلك بتوفر صفتين وخصوصيتين في القائد، إحداهما القدرة الجسمانية والأخرى العلم والتدبير، وقد وجدنا كلاهما في طالوت، وكذلك أخبرهم أنّ الله هو الذي اختار لهم طالوت، وعندما يختار الله تعالى رجلاً للملك والقيادة فإنه سيمنحه السعة في الرزق والعلم"³.

وإلى جانب ذلك ، فقد توفّر الدليل الذي جعلهم يقبلون بحكم (طالوت)، لأنهم قد طلبوا دليلاً يصدقون عن طريقه أنه مبعوث من الله تعالى، "فقال اشموئيل : الدليل هو أنّ التابوت، صندوق العهد، والذي يعدُّ أثراً مهماً من آثار أنبياء بني إسرائيل، وكان مدعاة لتقتكم واطمئنانكم في

¹ سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

² مفاتيح الغيب، الرازي، ٦/٥٠٤.

³ تفسير الأمثل، ناصر الشيرازي، ٢/١٢٢.

الحروب ، سيعود إليكم بجملة جمع من الملائكة، ولم يمض وقت طويل حتى ظهر الصندوق، وعلى أثر رؤيته وافق بنو إسرائيل على قيادة طالوت لهم" ¹.

ومن ناحية أخرى، فقد اعترض بعضهم على حكم (طالوت) لأنه كما ذكر "أن طالوت لم يكن من سبط النبوة، وهو سبط يعقوب، ولم يكن من سبط المملكة وهو سبط يهودا بن يعقوب، بل كان من سبط (بنيامين بن يعقوب)" ²، وهذه التفسيرات قدمت فهماً لما كان قد ساء عند سماع بني إسرائيل لحكم طالوت من أنه كان فقيراً، ووفقاً لزعيمهم أن ذلك لا يجوز، فلا بد أن يكون للحاكم نصيبه الوافر من المال.

إلا أن الله تعالى قد خصّه كما جاء في قوله (وزاده بسطة في العلم والجسم) "فقد وصف الله طالوت بالبسطة في العلم والجسم ، والتي تعني: الخير والشجاعة وقهر الأعداء ، والظاهر أنه : الامتداد و السعة في الجسم" ³، فما جاء في قوله تعالى يُشير الى أن تملك طالوت على بني إسرائيل كان من الله تعالى، وذلك على لسان كان في زمانه ، وأن الله اصطفاه بناء على طلب أحد الأنبياء من أن يرسل لهم ملكاً يقاتل في سبيل الله، فهو بذلك من الملوك المؤمنين .

فما جاء عن ذكر للملك (طالوت) يبيّن الحكمة من اختباره وإرساله إلى بني إسرائيل على الرغم من فقره، فقد كان التفصيل في ذكر أحواله وذكر قصته، ما جعل طالوت من الملوك الذي بيّن القرآن الكريم كثيراً من أحوالهم.

ومما جاء يمثل اعتراض القوم على ملك (طالوت) ما جاء في قوله تعالى ﴿قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾ ⁴

إذ جسّد الاعتراض في نقض العهد من قبل بني إسرائيل، رغم أنهم طلبوا قائداً عسكرياً ، وقد ورد في إحدى الروايات، "وكانت النبوة في ولد لاوي والملك في ولد وسف، وكان طالوت من ولد بنيامين أخي يوسف لأمه وأبيه، لم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة" ⁵، وعلى الرغم من

¹ تفسير الأمل، ٢/١٣٢.

² ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علي الخازن ١/١٨٠.

³ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ٢/٥٧٥.

⁴ سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

⁵ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم بحراني، ١/٦٤٢.

ذلك، لم يكونوا مطمئنين لمهمة طالوت الإلهية على الرغم مما قاله لهم نبيهم والذي يؤكد ما جاء في قوله تعالى {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ} ١ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} ١.

وقد ذكر أحقية الملك لطالوت رغم ما فُوبل به من الاعتراض، حيث جاء عن الطبرسي في الاحتجاج قد فسرت هذه الحادثة، "أيها الناس إن لكم في هذه الآيات عبرة لتعلموا أن الله جعل الخلافة والإمرة من بعد الأنبياء في أعقابهم وأنه فضّل طالوت وقدمه على الجماعة باصطفائه إياه وزاده بسطة في العلم والجسم، فهل تجدون أن الله اصطفى بني امية على هاشم وزاد معاوية عليّ بسطة في العلم والجسم" ٢

ونظراً لذلك فقد ذكر طالوت في القرآن الكريم على أنه الملك الذي بعثه الله لبني إسرائيل من بعد موسى، ولا سيما للقوم الذين أرادوا أن يقاتلوا في سبيل الله، ولولا حقيقة إيمانه لما كان له هذا الاختيار، وقد جاء في "أنه أول ملك من ملوك بني إسرائيل في عهد الملوك، وقد قاد المعركة المعروفة ضد جالوت، وحصلت الهزيمة على بقية قوم جالوت بعد قتله" ٣.

وما جاء ذكره في القرآن الكريم من وصف لملكه وأحقية تزعمه للبلاد ما جاء في أن الزمن الذي جاء فيه كان من بعد موسى عليه السلام، وذلك في نحو قوله تعالى بما يفسر التدرج في انتقال الحكم {لَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} ٤، وكان ذكر (طالوت) لأنه من الملوك غير الأنبياء في أنه قد تمّ اختباره للقوم من الله بعدم الشرب من النهر إلا وفق ما تتطلبه الحاجة، فسقط أغلب بني إسرائيل ولم يتجاوزوا الاختبار، وذلك ماثل في قوله تعالى {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ

¹ سورة البقرة، الآية ٢٤٨.

² مجمع البيان في تفسير القرآن، فضل الله الطبرسي، ١/٣٧١.

³ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، ص ٢٣٩.

⁴ سورة البقرة، الآية ٢٤٦-٢٤٧.

مَنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ عُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ} ¹. وقد تحرك طالوت على مستوى اختبار جيشه ليمحص مدى إخلاص هؤلاء، وكان الاختبار يتلخص في أن يمتنع كل فرد من أفراد الجيش عن شرب الماء، فإن شرب فليس منا²

فهذه الاختبارات كانت قد أُسند إلى (طالوت) لتمكينه من الحكم والترؤس لقوم بني إسرائيل وبيان حال القوم خلال ما وُضع لهم من الاختبارات المختارة بحكمة الله وتدبيره، أُخبروا أن الله هو الذي اختار لهم طالوت، وعندما يختار الله تعالى رجلاً للملك والقيادة سيمنحه السعة في الرزق والعلم³ فقد كان لطالوت تلك الصلاحيات التي تؤهله لسياسة البلاد كملك عام على بني إسرائيل، وقيادة الجيش والإمرة عليه في المعارك للقتال وتحصيل الحقوق، ولذلك كان من العلامات التي ساعدت (طالوت) على تثبيت حكمه في البلاد ما جاء في حادثة (التابوت) الدالة على علامة ملكه وترؤسه نحو ما جاء في قوله تعالى {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ} ⁴، فقد ذكر وصف التابوت وفقده من بني إسرائيل ثم عودته إليهم، ومنه "إنَّ بني إسرائيل توارثوا هذا التابوت من زمن آدم عليه السلام، وكان فيه صورة الأنبياء من أولاده، إلى أن وصل يعقوب عليه السلام، وكان بنو إسرائيل يستفتحون به في أي خلاف بينهم، أو في أي معركة سيخوضونها مع العدو، فإذا ما رأوه تأكدوا من النصر" ⁵. وبما أن بني إسرائيل ارتكبوا المعاصي واتخذوا من التابوت لعبة، فإن الله تعالى أخفى التابوت عنهم وبذلك ابتلوا بالذلة ولكن من أجل إثبات حقانية طالوت ومنح السكينة للمجاهدين عاد إليهم التابوت⁶

ومهما يكن على تعدد الروايات التي فسرت أحقية الملك وكون (طالوت) ملكاً من الملوك الذين خصهم الله بالتنصيب والرئاسة لما اتصفوا به من صفات أهلتهم للقيام بهذه المسؤولية العظيمة، فطالوت ملك من الله قد ملكه القيام بالحكم، وبذلك قد كان لطالوت السلطة السياسية

¹ سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

² دراسة تحليلية لقصة طالوت وجالوت في القرآن الكريم، السعيد إسحاق الكوهاري، ص 92.

³ دراسة تحليلية لقصة طالوت وجالوت في القرآن الكريم، السعيد إسحاق الكوهاري، ص 95.

⁴ سورة البقرة، الآية ٢٤٨.

⁵ مفاتيح الغيب، الرازي، ٦/٥٠٦.

⁶ تفسير نور الثقلين، عبد الحويزي، 122/1.

التي تؤكد ملكه دون صفة النبوة، لأنه كما ذكرنا من الملوك غير الأنبياء، وبذلك قد أدى مهمة السلطة السياسية دون الدينية والتي لا تكون إلا في تخصيص النبوة بأمر من الله تعالى لأنبيائه الذين كتب لهم الحكم باجتماع الملك والنبوة¹.

ومن الملوك من غير الأنبياء ما نجد توظيفاً لأدوارهم في سياق النص القرآني ما جاء في صورة الملك المحتل للبلدان (جالوت)، حيث ورد اسم جالوت وجنوده في القرآن الكريم في معرض الحديث عمّا حلّ على بني إسرائيل في مرحلة من مراحل تاريخهم، من تسلط غاشم لمحتل قد أخرجهم من ديارهم و أموالهم، وحرّمهم أبناءهم و أزواجهم ، حتى باتوا مشردين في الأرض، فقد كان جالوت مهلكاً لما حوله لذلك فكر الأشراف والملا في التصدي لجالوت، فاستطاعوا تحقيق النصر على جالوت²

إذ تكمن دلالة اللفظة لتوظيف اسم الملك من غير الأنبياء في الحوادث التي أُشير إليها في قصة جالوت وصراعه، حيث عكس قوى الشر والهلاك ، وقد حضر اسمه في النص القرآني عندما طلب بنو إسرائيل من نبيهم أن يبعث لهم ملكاً ليقاتلوا في سبيل الله تحت رايته، فلما قادم الملك (جالوت) قالوا كما جاء في نحو قوله تعالى {قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}³، حيث يعكس التوظيف الدلالي لهذه اللفظة الدالة على ترؤس الدولة للملك جالوت ويعكس حالة الخوف من بني إسرائيل، ما يوحي بحالة القوة لجالوت وجنوده⁴.

وقد ذكر اسم (جالوت) في سياق تصوير المعركة الحاصلة في قوله تعالى {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ}⁵، ذلك أنّ تفسير النص الذي ورد فيه لفظ الملك في سياق النص السابق يعكس ضخامة جيش جالوت إلا أنّ دحره وهزيمته كانت على يد داوود عليه السلام، وذلك ما جاء في قوله تعالى {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ

¹ ينظر: البحر المحيط، 1/227.

² ينظر: تفسير نور الثقلين، 97/1.

³ سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

⁴ تفسير نور الثقلين، 1/350.

⁵ سورة البقرة، الآية ٢٥٠ - ٢٥١.

دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ¹، وقد جاء تفسير ذلك "أنَّ الأشخاص الذين تحلوا بالسكينة والثقة بالله تعالى امتثلوا لهذا الأمر وتحركوا على مستوى الاستجابة لدعوة الله تعالى في مقاومة العدو والاستقامة في طريق المواجهة والتصدي، أما الآخرون فإنهم شربوا من الماء وبالتالي امتنعوا عن مواجهة جيش طالوت وتخاذلوا في ميدان القتال، ولكن ذلك العدد القليل المتبقي من جيش طالوت.. فاستطاعوا تحقيق النصر على جالوت وجيشه وهزمهم وقتلوا جالوت".²

وللأسباب الكامنة في عدّ (جالوت) من الملوك المذكورين في القرآن الكريم أنه كان قد أخذ صفة القيادة للجيش نحو قوله تعالى {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ³، إلا أنَّ القرآن الكريم لم يقل بأنَّ جالوت ملك إلا أن قيادة الجيش من مؤهلات الملك، والملك هو القائد الأعلى للجيش والقوات في الدولة، لذلك عدّ قائد الجيش ملكاً وهو طالوت ملك بني إسرائيل في مقابل جالوت وجنوده، كما أنَّ في نسبة الجنود لجالوت ما أمكن اعتباره من الملوك، بمعنى تحقّق وجود الجنود يعني تحقّق انتماء الجنود لملك محدد وهو جالوت كما يظهر لنا.

فقد جاء أن جالوت كان ملكاً، ومنه ما جاء عن تفسير أبي السعود "أنه ملك العمالقّة ورأسهم وهو جبار من الجبابرة، وذكر أنه من أولاد عمليق بن عاد"⁴، وقد جاء عن ابن الأثير أنه "كان ملك الكنعانيين ومن جبابرتهم".⁵

والذي يهمنا وهو رصد الألفاظ التي وظّفت للدلالة على ما كان له هذه الصفة من الملوك كما تم التوجيه إليه على أنهم كانوا قادة يترؤسون الدول كما جاء شاهداً عليه النص القرآني.

وقد ذُكر إلى جانب ذلك أنَّ موطن "حكم جالوت وقومه كان بساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، وهو المعروف الآن بالبحر الأبيض المتوسط"¹، وبذلك فإنَّ جالوت يعدُّ من الملوك

¹ سورة البقرة، الآية ٢٥١.

² تفسير نور الثقلين، عبد الحويزي، ١/٤٤٢.

³ سورة البقرة، الآية ٢٥٠.

⁴ تفسير أبي السعود، أبو السعود، ١/٢٣٩.

⁵ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١/١٨٩.

الكافرين كما عرض له النص القرآني، فلم يذكر القرآن الكريم شيئاً تفصيلاً عن جالوت فيما يخص مسكنه ومملكته، وأكثر ما ذُكر هو ذكر قصته مع طالوت وداوود عليه السلام.

ومن الملوك المفسدين في الأرض من أخذوا صفة الملك كما جاء في النص القرآني، الملك الفرعون، حيث وردت قصة فرعون في القرآن الكريم مرات عدة، وفي سياقات متعددة، وعن طريق مواقف وأحداث متعددة، وفيها انعكاس واضح لتجلي الطغيان، وهي شخصية مالكة تنتهك حرية البشر وتمارس العبودية المذلة والوقوف عنه دلالة الاسم يعرض لقصة فرعون في مفاهيم لا تكاد تخرج عن معنى الفساد والهلاك الذي خلفه فرعون أثناء ملكه وحكمه، "ومن مظاهر علوه وتجبره أنه عذب امرأته لما آمنت برب موسى وهارون عليهما السلام، فقد كان فرعون عدواً من أعداء الله، كافراً به"²

فقد جاء مؤكداً أنّ فرعون كان ملكاً في أرض مصر عصر موسى عليه السلام، حيث استعبد بني إسرائيل وسامهم سوء العذاب وقتلهم وكانت نهايته أن يغرق، ومن مثال ماورد بلفظ الملك (فرعون) بشكله الصريح، ما جاء نحو قوله تعالى في سورة الزخرف ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾³، المعنى الذي يدل على أنّ فرعون كان ممن لقب بـ (الملك) لأن له القوم الذي كان يحكمه، ومنه ما جاء عنه في قوله تعالى ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾⁴.

وقد جاء في تفسير النص القرآني من أحقية الملك والمقصود من الحاكم على مصر "الملك على أرض مصر، فلهم السلطان اليوم والملك ظاهرين على بني إسرائيل في أرض مصر".⁵

وهذا ما يؤكد كما جاء في قوله تعالى أنّ فرعون كان ملكاً وإن كان من الملوك المفسدين، ومن الضوابط التي وردت وأكدت ملكه ما جاء في ناحية الأمر عن فرعون في قوله تعالى ﴿وَقَالَ

¹ معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ١/٣٣٢.

² جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 171/28.

³ سورة الزخرف، الآية ٥١.

⁴ سورة غافر، الآية ٢٩.

⁵ جامع البيان، 378/21.

فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنَ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ¹، المعنى من ذلك أنّ فرعون هو الأمر، فقد أمر هامان أن يبيّن له صرخاً، والملك في العادة يحكم ترؤسه بأمر من حوله بعدد من المهام والأمور بغية تنفيذها.

إذ نجد توظيفاً للملوك الذين نشروا الخير والسلام في الأرض ومن قابلهم ممن نشر الفساد والهلاك والإيذاء للبشر، وفرعون قصصه قد أوضحت عدم إيمانه، ومنه ما جاء في وصف شدته وقوته في قوله تعالى {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}²، فالنهج الذي مارسه الملك فرعون كان منتشرًا في البلاد التي جاء حاكماً عليها، إذ شاع إهلاكه للناس وإيذاءهم بشتى الوسائل والسبل، فكان شديد الظلم في الناس وتخويفهم، فقد مارس سلطة الحكم والملك من وجهة مغايرة لما حضّ عليه الإسلام، فكان سلوكه منافياً للسلام ونشر الأمان والفضيلة في بلاده، فقد جاء وصفه بأنه فاسد لا محالة في قوله تعالى {إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}³، وفرعون مصر الذي بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى عليه السلام في زمانه جعل بني إسرائيل خدماً وصفهم في أعماله، فصنف بينون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يخدمون، وكان قومهم جنداً وملوكاً، وقد سامهم سوء العذاب⁴

وقد مارس فرعون أشدّ الأنواع المؤذية والمعززة لتأكيد كفره وادعائه الألوهية، فقد أفسد في كل شيء، واستكبر هو وجنوده في غير حق، وقد جاء اسمه مصرحاً به في قوله تعالى {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَدْعُو إِلَىٰ إِلَهِي مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}⁵، فقد ظنّ فرعون أنّ امتلاكه الحكم وسياسة

¹ سورة غافر، الآية ٣٦.

² سورة القصص، الآية ٤.

³ سورة القصص، الآية ٤.

⁴ الجامع لأحكام القرآن، 1/381.

⁵ سورة القصص، الآية ٣٨.

وسياسة الأمور تجعله الأمر الناهي في كل شيء، مما زاد حالة بطشه وهلاكه للناس حتى ادعى أنه هو الإله، "يشيع بين الناس أن من يتجبر في الأرض أو يشيع الفساد فيها يُقال له فرعون"¹ وقد وجد المفسرون "أنَّ الله تعالى ذكره ب (فرعون) وعامله معاملة الاسم في كل القرآن الكريم، وقصد به واحداً من الفراعنة وهو فرعون موسى عليه السلام، وهذا ما جعل من يرى أن فرعون اسم علم..²، فاسم (فرعون) قد عُدَّ أيضاً على أنه لقب للملك الواحد من الفراعنة ، وليس اسماً علماً، "واختلفوا في اسم فرعون ويبدو أن كل عات فرعون ، والعتاة: الفراعنة"³، حيث ذكر القرآن الكريم لفرعون قصص كثيرة مفصّل في بعضها، فكان أكثر الملوك ذكراً في القرآن الكريم في قصصه مع موسى عليه السلام، وبذلك فإنَّ الغاية من ذكر الملوك هو ذكر قصصهم ، فكل قصة تكون مع ملك في زمان معين ما يهدف إلى غايات تربوية وأخلاقية تتجاوز حدود العادية إلى مغزى أكبر مما يُتصور، "بل إن تجبر فرعون على غيره امتد من زوجه إلى الناس فقد آذى بني اسرائيل اللذين آمنوا بنبوة موسى عليه السلام، حتى أتى الحبالى من بني إسرائيل فيوقفن فيجز أقدامهن"⁴

كما أوضح بعض المفسرين أن "فرعون لقب لملوك مصر إبان المملكة الجديدة التي عاش أثناءها موسى عليه السلام وأما من استعمله في الزمن الذي عاش فيه يوسف عليه السلام فقد غلط"⁵، فرود لفظة (فرعون) قد تردت كثيراً في القرآن الكريم، وفي كل مرة ترد فيها تدلُّ على ناحية معينة من البلاد الذي جرّه على العباد وتعكس صور شتى لظلمه ويطشه وطغيانه، ومنها ما يشير إلى ذلك في قوله تعالى { وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ }⁶، وهذه إشارة تثبت أنه قد استكبر كثيراً وتباهى بالملك الذي كان له "وظاهرة فرعون في القرآن الكريم دالة على معنى السلطة الظالمة الطاغية المستبدة ، التي تدّعي الألوهية، وتستغل سذاجة الشعب لإذلاله وفرض الطاعة عليه، وأكثر ما وردت فيه في سورة الأعراف والقصص وغافر، وصفاته

¹ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، 1/314.

² فرعون موسى من قوم موسى، عاطف عزت، ص ١١-١٢.

³ الجامع لأحكام البيان، 1/385.

⁴ جامع البيان، 1/273.

⁵ فرعون موسى من قوم موسى، ص ٣٥.

⁶ سورة يونس، الآية ٨٣.

في القرآن الكريم وقومه جعلته يمثل شخصية المستبد الطاغوي المعاند الذي يكفر بآيات الله ويكذب فيها، ويدّعي لنفسه الألوهية والملك والسلطان، وسيظلم ويقتل، وشخصية فرعون هي من أهم مرتكزات القصة القرآنية".¹

ومن أمثلة بطشه خلال حكمه على البلاد ما جاء على لسان امرأة فرعون ما يدل على حقيقة تكبره وتجبره أيضاً ما جاء في نحو قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾²

ومن ورود اسمه مما يدل على بطشه ما جاء في عكس صورة إهلاك أبناء إسرائيل واستحياء النساء ولعلّ السبب في ذلك عائد إلى أنه كان يخشى ما يتكهن له الكهان من أنّ "غلاماً سيولد من بني إسرائيل سينهي ملكه، فأمر بذبح الذكور، ووضع على كل ألف امرأة مائة رجل... رأى رؤيا في منامه أنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر.. وتركت بني إسرائيل، فأولها له الكهنة بظهور غلام من بني إسرائيل يُزيل ملكه.. ثم أصبح عاماً يذبح ويقف آخر عن الذبح"³، ومنه ما جاء مؤكداً لهذا الفهم في قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۗ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾⁴.

وقد ورد لفظ (فرعون) مما يدل على الفساد في الأرض والهلاك في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرِكَ آلِهَتُكَ ۖ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾⁵، وبذلك فإنّ توظيف لفظ الملك الدال على قصص الملك فرعون كانت واضحة الدلالة كما قدّم النص القرآني عن طريق التصوير لكافة المظاهر العدائية التي مارسها، وقد جاء ذكره في تفسير آية الهلاك لبني إسرائيل في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرِكَ آلِهَتُكَ ۖ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي

¹ المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد النبهان، ص ٢٦٣.

² سورة التحريم، الآية ١١.

³ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم، ١/١٠٥.

⁴ سورة البقرة، الآية ٤٩.

⁵ سورة الأعراف، الآية ١٢٧.

نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ¹ ، "وقد كان فرعون بالنسبة لقومه اسطورة رفضوا أن يصدقوا أنها قد نُمِسَّ، وقد كان آل فرعون سبباً في ظلم الناس وقد ساموا بني إسرائيل سوء العذاب"²

فقد تعددت الروايات حول تفسير لفظ (فرعون) فيما إذا كان مدلولاً عليه في اسمه الحقيقي أم لا، "وهناك من يرى أن كلمة فرعون ليست اسمه الحقيقي، وهي ليس كذلك لقبه الرسمي، وكل ما في الأمر أنها لفظ كانوا يدلون به على أحد العظماء الذين يتهيبون من ذكر أسمائهم ، كما كان يُذكر.. وعلى هذا القياس كان المصريون يطلقون لفظة فرعون على ملكهم العظيم ومعناها اللغوي البيت العظيم"³

أمّا فرعون مصر فهو الذي "بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى عليه السلام في زمانه، جعل بني إسرائيل خدماً وصنّفهم في أعماله، فصنف بينون، وصنف يحرثون ويزرعون.. ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال ضربت عليه الجزية.. وكان يذبح ذكور أطفالهم مبقياً على اناتهم".⁴

فقد قرر القرآن حقيقة استكبار فرعون ونص على استكباره بالعبرة الواضحة في قوله سبحانه وتعالى {وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ}⁵، وقد جاء في هذه الصورة في قوله تعالى {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ}⁶.

فالاستكبار هو الذي أهلك حالة الحكم وسياسة البلاد التي كانت لفرعون، فلو أدرك المستكبر حقيقة نفسه لما اقتحم ما ليس له بحق نحو ما جاء في قوله تعالى {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۗ وَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ}⁷

¹ سورة الأعراف، الآية ١٢٧.

² شخصية فرعون في النص القرآني والرواية العربية، سلافة العزاوي، ص 126.

³ مصر القديمة، يميس بيكي، ترمة: نيب محفوظ، ص ٢٤.

⁴ الامع لأحكام القرآن، ابو عبد الله القرطبي، ١/٣٨٥.

⁵ سورة القصص، الآية ٣٩.

⁶ سورة يونس، الآية ٧٥.

⁷ سورة العنكبوت، الآية ٣٩.

كما أظهر السياق القرآني امتناع فرعون عن قبول الحق بعد قيام الحجة والدليل ، أي بعد إدراكه وعلمه بصدق موسى عليه السلام ، بعد كل هذه الآيات العظيمة امتنع الملك (فرعون) عن قبول الحق وذلك في قوله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}¹، ولعلَّ الغاية من تكرار لفظ الملك (فرعون) هو التأكيد على أنَّ شخصية الملك لفرعون كانت سبباً في تكبره وشعوره بالألوهية وذلك واضح في قوله تعالى {وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ}²، فقد كان يرى نفسه فوق مستوى البشر ويمارس أشد أنواع العذاب الذي يمكن أن يمارسها ملك على شعبه وبلاده³ ولذلك كانت النجاة منه بيد الله تعالى {وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، مِنْ فِرْعَوْنَ ۖ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ} .⁴

وكل ما جاء في ذكره كملك طاغ يؤيد الصورة المعروفة عن الملك المتجبر "قد تجاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر والتمرد، وتجبر على الله وعصاه، وتجاوز قدره وتمرد على ربه حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية والألوهية..⁵، فقد أكد طغيانه في قوله تعالى {اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ}⁶

كما أنه وقد وجد الملك له وحده لا ينازعه فيه أحد مثلاً بقوله تعالى {وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ}⁷، فقد ساعدت المكتسبات المحققة لفرعون من الحكم والملك حالة التكبر⁸.

¹ سورة غافر، الآية ٢٣-٢٤

² سورة يونس، الآية ٨٣.

³ ينظر: مصر القديمة، سليم حسن، ص 88.

⁴ سورة الدخان، الآية ٣٠-٣١.

⁵ تفسير القرآن الحكيم، ابن كثير، ٣/١٥٤.

⁶ سورة النازعات، الآية ١٧.

⁷ سورة الزخرف، الآية ٥١، ٥٢.

⁸ ينظر: مصر القديمة، ص 36.

ومن الملوك من غير الأنبياء الذين كانت لهم خاصية الملك والحكم ما جاء عن الملك الغاصب للأموال ومنه الملك النمرود حيث يمثل صورة الملك وهو يبعث بحياة الناس وأرواحهم، وجاءت سورة الكهف لتعرض نموذجاً آخر من الملوك الذين يرون حقهم المطلق في أموال الناس ، إلا أنه لم يرد اسم هذا الملك بل ورد عن طريق التلميح إلى الملك النمرود وبلده، فقد أشير إلى طغيان نمرود "قابراهيم عليه السلام لم يداهن الملك الطاغية (النمرود) الذ جادله في ربوبية الله وعظمته، ولم يقره على باطله، ولم يسكت على حججه الواهية"¹ حيث تجاهلت سورة الكهف اسم الملك وبلده لتظل الصورة قابلة للتعميم على كل الملوك الذين يرون في السلطة والقوة سبباً في الاعتداء على حقوق الناس نحو ما جاء في قوله تعالى {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}²، وهو الذي ورد ذكره في قوله تعالى دون التصريح باسمه {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}³

فقد جاء عن البغوي أن تفسير قوله تعالى أن "ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه معناه هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم أي خاصم وجادل وهو نمرود و هو أول من وضع التاج على رأسه"⁴

وقد فسّر بأنّ الضمير العائد في قوله تعالى (وأتاه) ما يُفسر بالعودة إلى "المحاج المعاند والذي هو الملك ، وليس عائداً على إبراهيم عليه السلام".⁵

فكما نلاحظ إنّ لفظ الملك باسمه الصريح لم يذكر، إنما ذكر ما دلّ على صفاته ، فقد حاج في ذكر الملك الذي حاج إبراهيم عليه السلام وهو الملك النمرود كما تشير الدراسات، ومنه ما

¹ ينظر: مقومات الداعية المسلم، دراسة قرآنية، أمينة الماجد، ص 201.

² سورة الكهف، الآية ٧٩.

³ سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

⁴ تفسير البغوي، ١/٣١٦.

⁵ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ٢/٦٢٦.

جاء عنه في قوله تعالى { فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }¹، بمعنى إنه الملك الذي حاج النبي إبراهيم عليه السلام وخالفه وجادله ، فهو من الكافرين والمفسدين في الأرض ، فلم يذكره القرآن باسمه بل وصف بأنه (الذي حاج إبراهيم) ، وتم ذكره في قصة واحدة في مناظرته مع إبراهيم عليه السلام.

فقد ذكر الملوك المفسدين في الارض منه ملك أصحاب الكهف الظالم وملك أصحاب الفيل وملك أصحاب الأخدود ، والملك النمروذ كان يُحاجج ويدافع ويجادل في الباطل² ومنه ما جاء مؤكداً لحالة النفاق التي كان عليها من أنه كان يدعي عمل الخالق والذي جاء منعكساً في قوله تعالى {قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ}³، فكان أن غلب في نهاية المطاف { فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }⁴.

ومن الملوك من غير الأنبياء من ترؤس الدولة والحكم وظهر الحديث عنه عن طريق قومه الملك (التبع اليماني)، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم مرتين، وذلك عن طريق الحديث عن قومه {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}⁵، كما ورد ما يدل على ملكه في قوله تعالى {وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِعَ ۖ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ}⁶، فلم يذكر اسمه اسمه بشكل صريح ، وإنما يُستدل على ذكره عن طريق وصف القوم، وقد جاء في سبب تسميته بـ (التبع) "لأنه يسير بغزواته إلى كل مكان تطلع عليه الشمس"⁷.

وفي معنى (التبع) خلاف على معنيين وهما ما جاء في أنه "اسم علم على أحد ملوك اليمن"⁸، ومنه أنه "لقب يطلق على من يملك بلاد اليمن قديماً، وهو قول الأكثرين"⁹.

¹ سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

² مقومات الداعية المسلم، ص 211.

³ سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

⁴ سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

⁵ سورة الدخان، الآية ٣٧.

⁶ سورة ق، الآية ١٤.

⁷ التحرير و التتوير، 3092/25.

⁸ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ٢/٧٩.

⁹ التحرير و التتوير، 79/2.

ومن الملوك الذين تم ذكرهم ما جاء عن ملكة سبأ والتي تم إسلامها على يد النبي سليمان عليه السلام، ومنه ما جاء مؤكداً في تبيان حالها في قوله تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹، ومن السياسة التي اتبعتها ملكة سبأ أنها كانت تلجأ إلى المشاورة وأخذ الآراء، ومنها ما جاء في قوله تعالى يؤكد هذه السياسة في الحكم ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ، قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ، قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَدِلَّةً ۖ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾²، فقد فسّر هذا اللجوء والتصرف الذي مارسته الملكة على أنها قد عكست عكست "كيف ينبغي أن يستشير الملوك الملأ، أي أشرف الرعية، وأن لا يقطعوا أمراً إلا برأيهم، وتشير إلى لزوم أن تُحفظ القوة والبأس في يد الرعية، وأن يخصص الملوك بالتنفيذ فقط، وأن يكرموا بنسبة الأمر إليهم توقيراً، وتفتح شأن الملوك المستبدين".³

وقد ذكرت ملكة سبأ عن طريق قصتها مع سليمان عليه السلام دون ذكر اسمها (بليقيس)، ومنه ما جاء في أنها أسلمت مع قومها بعد ما كان حالهم على نقيض الإيمان ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾⁴، إذ فسّرت الحادثة التي تشير إلى إيمان الملكة في أنّ "الملكة أسلمت، وأسلم الوفد الذي معها، وخرج الجميع إلى قومهم دعاة، فأسلمت سبأ وتحولت إلى مملكة إيمانية"⁵، حيث نجد في القرآن الكريم ما يدلُّ على بعض أحوالها من أنها ملكة وتحكم سبأ نحو قوله تعالى ﴿وَجِئْنَاكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾⁶، وهذا ما يفسر أنها من الملوك الذين مكّنوا من الترويس والحكم، فقد كان حكمها لسبأ من الواضح كما يشير سياق النص القرآني من أحقية الحكم للملوك، وكذلك فإنها قد أوتيت من الأشياء ما يصلح للملوك، ولديها العرش العظيم، كما

¹ سورة النمل، الآية ٤٤.

² سورة النمل، الآية ٣٢-٣٣-٣٤.

³ طبائع الاستبداد ومصارح الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، ص ٣٤.

⁴ سورة النمل، الآية ٢٣-٢٤.

⁵ القصص القرآني عرض ووقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ٣/٥٦٧.

⁶ سورة النمل، الآية ٢٢-٢٣.

جاء في وصف ذلك في نحو قوله تعالى ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾¹، فتفسير (لها) عرش عظيم)، ما يؤكد أنه عائد إلى ذكرها غير الصريح، أي ملكة سبأ قد كان لها العرش العظيم².

والى جانب ذلك قد نرى ما يدلُّ على صفات الحكم و التروؤس الذي كانت عليه ملكة سبأ من القوة والشدّة في الحكم، كانت ملكة سبأ تحكم شعبها وفق تجربة سياسية تحترم إرادة مواطنيها ، بالرغم من عظمة ملكها ووفرة مالها وكثرة سلاحها، فقد كان حكمها على مشاركة الملأ³ ومنه ما جاء في قوله تعالى يبين هذه القوة ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾⁴.

ومن تدبيرها للأمور أنها لم تفتح مجالاً للحرب، فقد جاء النص القرآني شاهداً على حنكتها وحكمتها في تدبير الأمور، "كما تتضح الروية والتدبير في نظرة ملكة سبأ وتفضيلها السلم على الحرب للمحافظة على ما حققته من منجزات لشعبها"⁵ ومنه ما جاء في تأكيد ذلك ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِنَةً ۗ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾⁶

فكل ما تقدم ذكره يشير إلى أنّ ملكة سبأ كانت من الملوك الذين اتصفوا بالحكمة في السياسة وتدبير شؤون القوم بما لا يفتح مجالاً للصراع، ولا سيما أنّ هدهد سليمان عليه السلام كان قد وصف عرشها بأنه عظيم، "فهي عاقلة حكيمة، لا تخاطر بالاستبداد بمصالح قومها، فأبدت لهم رأيها مفضلة جانب السلم على جانب الحرب"⁷ وتفسير حكمتها من أن قد رأت أنها وقومها

¹ سورة النمل، الآية ٢٣.

² شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني، ص 48.

³ ينظر: شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني، رأفت زائف، ص 142.

⁴ سورة النمل، الآية ٣٣.

⁵ مقومات الحكم الرشيد، سعيد ناجي، ص 365.

⁶ سورة النمل، الآية ٣٤-٣٥.

⁷ التحرير والتانوير، 264/19.

لايستطيعون مواجهة ملك عظيم بتمتع بجيوش عالية كسليمان عليه السلام، فكانت حكمتها ماثلة في قوله تعالى {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} ¹.

ومن الملوك الصالحين الذين ورد ذكرهم في القرآن (ذو القرنين) بصفته ملكاً عادلاً وعبداً صالحاً من عباد الله، وقد مكن الله له في الأرض وأتاه من كل شيء سبباً، وقد جاء في ذلك {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا، إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} ²، فقد دلت الآيات الذاكرة لملكه أنه طاف في الأرض يدعو إلى الإسلام ، وقد جاء عن ابن كثير "ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم.. و الصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين" ³، وقد جاء أيضاً عن أحد المفسرين أنه "ملك صالح كان على عهد الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويقال أنه طاف معه بالبيت، والله أعلم" ⁴.

الملوك من غير الأنبياء

اللفظ	النص	السورة	الآية	الدلالة
الملك من غير الأنبياء	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا	البقرة	247	طالوت
الملك من غير الأنبياء	قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ	البقرة	247	
الملك من غير الأنبياء	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	البقرة	246	
الملك من غير الأنبياء	فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ	البقرة	249	

¹ سورة النمل، الآية ٣٥.

² سورة الكهف، الآية ٨٣-٨٥.

³ البداية والنهاية، ٢/١٢٢.

⁴ فتاوي نور على الدرب، ابن عثيمين، ٤/٦٠.

			مَنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ	
جالوت	249	البقرة	قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ	الملك من غير الأنبياء
	250 251-	البقرة	وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ	الملك من غير الأنبياء
فرعون	51	الزخرف ف	وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	الملك من غير الأنبياء
	29	غافر	يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ۖ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ	الملك من غير الأنبياء
	36	غافر	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ	الملك من غير الأنبياء
	4	القصد ص	إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدْبِحُ أَنْبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ	الملك من غير الأنبياء
فرعون	38	القصد ص	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ	الملك من غير الأنبياء

			عَلَى الطَّيِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ	
11	التحر يم		وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	الملك من غير الأنبياء
49	البقرة		وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۗ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ	الملك من غير الأنبياء
39	القصد ص		وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمِ الْبَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ	الملك من غير الأنبياء
75	يونس		ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ	الملك من غير الأنبياء
79	الكهف		أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصَبًا	الملك من غير الأنبياء
258	البقرة		أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي	الملك من غير الأنبياء

نمرود			وَأَمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ	
التبع اليمني	37	الدخان	أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ أَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ	الملك من غير الأنبياء
ملكة سبأ	44	النمل	قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	الملك من غير الأنبياء
	32- 34-33	النمل	قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ، قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ، قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِنَةً ۗ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ	الملك من غير الأنبياء
	23- 24	النمل	إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ	الملك من غير الأنبياء
	22- 23	النمل	وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ	الملك من غير الأنبياء
ملكة سبأ	32	النمل	قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ	الملك من غير الأنبياء
	83-	الكهف	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ ۗ قُلْ	الملك من

ذو القرنين	85	سَأْتَلُو عَيْنَكُمْ مِّنْهُ ذِكْرًا، إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا	غير الأنبياء
------------	----	--	--------------

خلاصة الفصل الثالث:

تبقى لدراسة الألفاظ الدالة على ترؤس الدولة سواء اكان ذلك من الملوك الأنبياء أو سواهم ما يدل على أن ذلك كان سبيلاً لإنشاء مفهوم الدولة بما عكسه إعجاز النص القرآني، ووافق الحكمة الإلهية التي ارتضاها الله عز جلاله من خلال نسبة الحكم وخاصية الملك لكل ملك من الملوك بما جاء متضافراً مع صفاتهم وكيفية تسييرهم لمصالح العباد والرعية سواء كان ذلك موقفاً ام لا.

كما أن ما جاء في ذكر صفاتهم بما دل منه على الإيمان عند بعضهم وعدم ايمان بعضهم الآخر من خلال اتصافهم بالنتكر والخذاع والفساد في الأرض كان قد أكده السياق القرآني.

كما أن التناول لهذه القضية كانت قد أسهمت في فهم جديد مطابق لما نعرفه اليوم تحت مسمى الدولة من أنها تقوم على مراعاة التنظيم للشؤون وفق المصلحة العليا لأفراد البلاد، أي بما يحقق لهم صلاحهم ويبيدهم عن الهلاك خلال التوظيف الحقيقي لمعنى الدولة بما يتبع لها من ألفاظ مفسرة لكل هذه الشؤون.

الخاتمة

الخاتمة والنتائج:

الحمد لله الذي سبب لنا الأسباب وجعلنا من الدارسين للقرآن الكريم ، فالخوض في غمار القرآن الكريم ومضامينه، والتبحر في ألفاظ وعمق دلالاته لما فيها من قوانين وضوابط منظم هذه الحياة، وتدل في الوقت نفسه على عظمة الخالق، فكان لنا النصيب في اختيار ألفاظ الدالة على الدولة والحكم في القرآن الكريم ومعالجته وفق المنظور الدلالي للفظ المضمن، واقتضت الدراسة التأسيس الذي عكسته ألفاظ الدولة بما يعكس بداية الخلق وكيف تدرجت الحياة البشرية لتصبح بهذا الشكل.

وكان من جملة ما توصلنا من نتائج :

١- إنَّ الألفاظ الدالة على الدولة قد شكَّلت مساحة كبيرة في النص القرآني ، وعكست في الوقت نفسه الدلالة على قيام الدولة التي نظمت حياة الناس وبيَّرت شؤون العباد بحكمة وتدبير من الله عز وجل.

٢- تفاوتت عدد مرات ورود ألفاظ (البلد، القرية، المدينة)، فكانت ألفاظ القرية أكثرها وروداً ثم تأتي ألفاظ المدينة وتليها ألفاظ البلد، القرية هي أصغر مكون في الدولة وهي الأكثر ثم تلتها المدينة ثم البلد وكأنما هذا التقسيم يتماشى مع التقسيمات الإدارية الحديثة.

٣- جاءت ألفاظ القرية دالة في أكثر المواضع دالة على المكان الذي يعيش فيه مجتمع معين، وللدالة على طبائع أناس في بقعة معينة من الأرض كان قد خصَّها الله تعالى بالذكر.

٤- ذُكرت كلمة المدينة في مواضع متعددة، فكان مدلول المدينة غير مدلول القرية ، ولهذا ذُكرت مدن بأسمائها نحو: مصر، مكة، بابل، فهذه المدن كبيرة تتسع أكثر ما يتسع له المكان للقرية.

٥- لكل من الألفاظ الدالة على الدولة معناه ومدلوله القرآني والذي عرض له المفسرون ، في تفاوت آراء حول المقصود من ذكر كل منها في موضعه النصي.

٦- تنوعت تعبيرات المفسرين في الوقوع على المقصود من ألفاظ الدولة (المدينة، القرية، البلد)، وقد نجد توضيحاً لمعنى القرية التي تدل عليه المدينة في الذكر.

- ٧- أسهمت الدراسة في التعرف على المعاني الدقيقة للمفردات ذات المدلولات الجغرافية في القرآن الكريم ، وذلك عن طريق تحديد دقيق لأماكن وبلدان قد تمت الإشارة إليها بشكل صريح أو غير صريح.
- ٨- ربطت الدلالة لألفاظ الدولة بمعنى السياق الذي ذُكرت فيه الأحداث، وذلك كله يستنتج من سياق النص القرآني
- ٩- عكس التوظيف لأسماء الدولة ضرورة قيام الدول وتروؤس الملوك لها، لأنَّ القرآن الكريم كتاب الله عزَّ جلاله ، يتضمن كل معاني الحياة البشرية.
- ١٠- كثيراً ما اقترن لفظ القرية بما يدل على عاقبة الهلاك والدمار لمن كان فاسداً في الأرض.
- ١١ - عكست ألفاظ الدولة قيام دول متعددة وفسرت سياساتها وآلية الحكم والتروؤس فيها لما كان فيه خير البلاد أو إهلاكها وذلك ما تحدده مناسبة النص القرآني.
- ١٢- القرية أصغر وأقل حجماً من المدينة ، فكل مدينة قد يطلق عليها قرية ، وليس كل قرية يُقال عليها مدينة.
- ١٣ - لم تأخذ القرية بذلك الحظ الذي أخذت به المدينة من أسباب الحضارة والتطور .
- ١٤- وردت كلمة قرية في القرآن الكريم باختلاف تصريفاتها من (الإفراد والتنثنية والجمع، والتعريف والتكثير).
- ١٥- يُطلق لفظ القرية وقد يُراد بها (مكة المكرمة أو بيت المقدس وسواها من الأماكن، فقد ترد أسماء الدول بأسمائها الصريحة أو غير الصريحة.
- ١٦- جاءت لفظة المدينة في القرآن الكريم بصيغة المفرد و الجمع وكلها معرفة بأل.
- ١٧- عكس توظيف ألفاظ (المدينة ، القرية ، البلد) ما يدلُّ على موقف عقائدي واحد عند قوم معين ووصفت كفرهم وعدم إيمانهم، ودلت أيضاً على صفاتهم خَلقية أو خُلقية .
- ١٨- الألفاظ التي ذُكرت أسماء الدول منها ما هو صريح ومنها ما هو غير صريح، فقد ذكر الصريح منها بشكل واضح، وبعضها الآخر قد استُعيض عنه باعجاز

- ١٩- دلت ألفاظ القرية والبلد والمدينة إلى المفهوم العام للدولة .
- ٢٠- شكّلت الأسماء الصريحة التي ذُكرت في القرآن مفهوم الدولة عن طريق مسمى محدد لبلد معين أو دولة معينة يُقصد إليها التدليل على فضائل ومدائح بلد معين أو خلاف ذلك مما كانت عليه بعض الأقوام في الظلم.
- ٢١- شكّلت الأسماء غير الصريحة دلالتها في الفهم المقصود من دلالة الدولة في القرآن الكريم، وذلك عن طريق المناسبة للآية القرآنية التي تفسّر أحقية الدلالة على الدولة.
- ٢٢- شكّلت الألفاظ المتضمنة لترؤس الدولة في القرآن الكريم أهمية إلى معرفة قصص الملوك من الأنبياء و غير الأنبياء وتوضيح معالم الحكم وأحقية التروؤس كذلك.
- ٢٣- دلت الألفاظ لترؤس الدولة على خاصية التمكين للحكم من الملوك ، وخرجت قصصهم لغايات تكمن في الحاجة إلى تعزيز الاعتبار والعظة
- ٢٤- دلت الألفاظ على صفات الملوك ، فمنهم من كان مثلاً للإيمان والحق والفضيلة ومنهم الآخر من كان رمزاً للفساد والهلاك والطغيان وتعذيب البشر.

المصادر والمراجع

❖ المصادر والمراجع:

- ❖ القرآن الكريم
- ❖ الأبعاد المكانية والوصفية للقربة والمدينة في القرآن الكريم، أبكر إبراهيم، المجلة العلمية لجامعة الإمام المهدي، العدد ٧، ٢٠١٦.
- ❖ أبنية الأسماء من الجذر اللغوي (شكر) في القرآن الكريم، دراسة دلالية سياقية، علياء حسن، مجلة الباحث، عدد ٣٦، ٢٠١٩.
- ❖ اتساع الدلالة المعجمية في القرآن الكريم في ضوء مجمع البيان للطبرسي، حنين العامري، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة الباحث، مجلد ٤٢، عدد ٤، جزء ١، ٢٠٢٣.
- ❖ آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا القزويني، دار صادر، د. ت.
- ❖ أحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، ط ١، الرياض، ٢٠٠٣.
- ❖ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- ❖ الإسلام وأوضاعنا السياسية، عبد القادر عودة (ت ١٣٧٣ هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١.
- ❖ إشكالية الأمة والدولة، شير الفقيه، دار البحار، بيروت، ٢٠٠٩.
- ❖ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- ❖ أطلس الأماكن في القرآن الكريم، سامي ملغوث، دار العبيكان للنشر، ط ١، الرياض، ٢٠١٥.
- ❖ أطيب البيان في تفسير القرآن، السيد عبد الحسين طيب، ط ٢، طهران.
- ❖ الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر الشيرازي، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ١٤١٧ هـ.

- ❖ الإمكان العقلي لمعجزة الإسراء والمعراج القرآنية، منى هدايات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ص1557.
- ❖ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي، تحقيق : عدنان بناته، مكتبة دنديس، مجلد ٢، عمان، د. ت.
- ❖ البحث اللغويّ عند العرب، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، 2003.
- ❖ البحر المحيط في التفسير، محمد أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق : صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- ❖ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم بحراني، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط ١، قم.
- ❖ بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد الصفار، شركة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ١٩٣٨.
- ❖ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ)، تحقيق : محمد النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٣.
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تحقيق : علي الشيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤.
- ❖ تاريخ المدينة، أبو زيد البصري، تحقيق : فهيم شلتوت، دار الفكر، إيران، ١٤١٠ هـ.
- ❖ تأويلات أهل السنة، محمد الماتريدي، تحقيق : مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
- ❖ التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (توفي ٤٦٠ هـ)، تصحيح أحمد قصير، مكتبة الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
- ❖ التحرير و التتوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ط ١، تونس، ١٩٨٤.

- ❖ تفسير ابن أبي حاتم، أبو محمد الرازي، تحقيق: أسعد الطيب، ط ١، المكتبة العصرية، صيدا، د. ت.
- ❖ تفسير الأمتل، ناصر الشيرازي، دار الكتب الإسلامية، ط ١.
- ❖ تفسير البغوي، البغوي (ت ٥١٠ هـ)، تحقيق: خالد العك، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ت.
- ❖ تفسير القرآن الكريم العظيم، ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد بيضون، ط ١، بيروت، ١٤١٩ هـ.
- ❖ تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧.
- ❖ تفسير القمي، علي القمي، تحقيق: السيد الجزائري، دار الكتاب، ط ٤، قم.
- ❖ التفسير الكبير، محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٠/١٤١.
- ❖ تفسير الماوردي، الماوردي، المكتبة الوطنية، ط ٢، القاهرة، د. ت.
- ❖ تفسير المنار، محمد علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ١٩٩٠.
- ❖ تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣.
- ❖ تفسير نور الثقلين، عبد الحويزي، تحقيق: هاشم المحلاتي، قم.
- ❖ التهذيب في اللغة، أبو منصور الأزهري الهروي (توفي ٣٧٠ هـ)، تحقيق: لجنة من الأساتذة، القاهرة، مصر، ١٩٦٧.
- ❖ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف، ط ١، المملكة السعودية، ١٤٢٢ هـ.
- ❖ جامع البيان في تفسير آي القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ❖ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، ط ١، الرياض، ٢٠٠٣.

- ❖ جوامع الجامع، الطبرسي (توفي ٥٨٤ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم، المشرقة، ١٤١٨ هـ.
- ❖ الحضارة السبئية في سورة سبأ، محمد بلعربي، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر، ٢٠١٢.
- ❖ الدلالات الجغرافية لحضارة سبأ في القرآن الكريم، زينب ياسين، مجلة الباحث، المجلد ٤٢، العدد ٢، الجزء ٢، نيسان، ٢٠٢٤.
- ❖ الدولة في المنظور الفقهي، د. مهني مصطفى جمال الدين، كلية الفقه، جامعة الكوفة - العراق، مجلة مركز دراسات الكوفة - مجلة فصلية محكمة.
- ❖ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.
- ❖ رحلة الشتاء والصيف، محمد بن عبد الله كبريت، تحقيق: محمد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٣٨٥ هـ.
- ❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.
- ❖ زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤ هـ)، دار الفكر العربي، مجلد ١٠.
- ❖ السياق ودلالاته في توجيه المعنى، فوزي إبراهيم، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٩.
- ❖ شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمداني (توفي ٧٩ هـ)، المكتبة التجارية، ط٤، مصر، ١٩٦٤.
- ❖ الشواهد الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم ومدى تضمينها في كتب التربية الإسلامية (دراسة تحليلية)، أمجد حبيب، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة الباحث، عدد ٣٨، د. ت.
- ❖ الشواهد الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم ومدى تضمينها في كتب التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية، أمجد حبيب، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة الباحث، عدد ٣٨، الجزء ١، ٢٠٢١.

- ❖ الصحاح تاج العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق : أحمد عطار، ط٤، بيروت، ١٩٨٧.
- ❖ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، المطبعة العصرية، حلب، سوريا.
- ❖ علم التّخاطب الإنسانيّ - دراسة لسانيّة لمناهج علماء الأصول في فهم النّصّ، محمد علوي، دار كنوز، 2014.
- ❖ علم الدّلالة التّطبيقيّ في التّراث العربيّ، هادي نهر، دار الأمل، الأردن، د.ت.
- ❖ علم الدّلالة اللغويّة، عمر شاع الدين، دار الهدى، السودان، 2012.
- ❖ علم الدّلالة النّظريّة والتّطبيق - الاختلاف بين المؤيّدين والمخالفين، فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، د.ت.
- ❖ علم الدّلالة عند العرب - دراسة مقارنة مع السّيميائ الحديثة، عادل فاخوري، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- ❖ علم الدّلالة والنّظريّات الدّلاليّة الحديثة، حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2009.
- ❖ علم الدّلالة، أحمد مختار، عالم الكتب، مصر، 1998.
- ❖ علم اللسانيّات الحديثة، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، 2002.
- ❖ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق :مهدي المخزومي، دار مكتبة الهلال د. ت.
- ❖ غاية البيان في تفسير القرآن، محمد حمزة، دار إحياء التراث، قطر، ٢٠٠٣.
- ❖ فتح القدير، محمد علي الشوكاني (توفي ١٢٥٠هـ)، تحقيق : أحمد عبد السلام، دار محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- ❖ فرعون موسى من قوم موسى، عاطف عزت، نفر تاري للدراسات والنشر، مصر، ٢٠١٠.
- ❖ فضائل وخصائص مصر في ضوء القرآن والسنة، خالد بدوي، ٢٠١٦.
- ❖ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، مصر، 2016.

- ❖ القرية والمدينة في القرآن الكريم، دراسة في التفسير الموضوعي، دعاء عبد السلام، كلية التربية، جامعة عين شمس، د. ت.
- ❖ القرية والمدينة، يزيد الخليف، بحث منشور، جامعة الكويت، مجلد 34، ع 119، 2019، ص 12.
- ❖ قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول، محمد الشعراوي، ط 1، دار القدس، 2006.
- ❖ القصص القرآني عرض ووقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، مجلد 4، ط 1، دمشق، 1998.
- ❖ قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن وردّ شبهات)، فضل عباس، دار البشير، 1407هـ.
- ❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري (توفي 538 هـ)، شركة ومكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1966.
- ❖ لباب التأويل في معاني التنزيل، علي الخازن (ت 741 هـ)، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1415 هـ.
- ❖ لسان العرب، ابن منظور (ت 711 هـ)، دار صادر، بيروت، 1956.
- ❖ لفظة (فسد) في القرآن الكريم، دراسة دلالية، أسامة العبيدي، جامعة كربلاء، مجلة الباحث، قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلد 42، عدد 16، 2022.
- ❖ مبادئ في اللسانيات، خولة الإبراهيمي، دار القصة، ط 1، الجزائر، 2004.
- ❖ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت 548 هـ)، تحقيق: لجنة العلماء، بيروت، لبنان، 1995.
- ❖ محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، خليفة بوجادي، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.
- ❖ المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، أبو محمد الأندلسي (توفي 456 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط 1، بيروت، 1993.

- ❖ المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد النبهان، دار عالم القرآن، ط ١، حلب، ٢٠٠٥.
- ❖ الاستفادة من قصص القرآن والدعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، د. ت.
- ❖ مسند أحمد بن حنبل، ابن حنبل، تحقيق: محمد شاكر، دار الحديث، مج ٨، ط ١، القاهرة، ١٩٩٥.
- ❖ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، ط ٢، د. ت.
- ❖ مصر القديمة، جيمس بيكي، ترجمة: نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، د. ت.
- ❖ مصطلح المدينة من خلال القرآن الكريم، الجمعي شبايكي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الشريعة والاقتصاد، الجزائر، ٢٠٢١.
- ❖ معاجم على الموضوعات، حسين نصار، دار الأصالة، مطبعة الكويت، الكويت، 1985.
- ❖ معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين البغوي (ت ٥١٠ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- ❖ المعجم الأوسط، سليمان الطبراني (توفي ١٤٠٥ هـ)، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، ط ٢، الرياض، د. ت.
- ❖ معجم البلدان، عبد الله الحموي (توفي ٦٢٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، لبنان، ١٩٧٩.
- ❖ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٢ هـ.
- ❖ المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2008.
- ❖ معجم ما استعجم، البكري الأندلسي (توفي ٤٨٧ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، ط ٣، بيروت، ١٩٨٩.
- ❖ مفاتيح الغيب، محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

- ❖ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق : محمد كيلاني، طهران، د. ت.
- ❖ مقدّمة ابن خلدون، ابن خلدون، تحقيق: منير بعلبكي، مؤسسة الرسالة، 1911.
- ❖ من قضايا اللغة والنحو، أحمد عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، د. ت.
- ❖ المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، فتحي الدزيني، دار النور، القاهرة، 2008.
- ❖ المنجد في اللغة والأدب والعلوم، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، د. ت.
- ❖ موسوعة العلامة الإمام مجدّد العصر محمد ناصر الدين الألباني، محمد الألباني، مركز النعمان للبحوث والدراسات، مجلد 9، ط1، صنعاء 2010.
- ❖ الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي (توفي 1412هـ)، قم المقدسة، إيران، د. ت.
- ❖ النبي الوزير يوسف من الابتلاء إلى التمكين، علي الصلابي، دار الأصالة، تركيا، 2023، ص248.
- ❖ النصّ والتأويل دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي، عبد الجليل منقور، دار الكتاب، 2010.
- ❖ نظرية الحقول الدلالية وتطبيقاتها في العربية، أحمد عزوز، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
- ❖ نظرية معاجم الحقول الدلالية وإرهاصاتها في فقه اللغة وسرّ العربية للثعالبي، ياسر الحسيني، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد87، 2018.
- ❖ نظم الدرر، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، ط1، القاهرة، د. ت.
- ❖ النكت والعيون، تفسير الماوردي، تحقيق : السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.
- ❖ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (توفي 606هـ)، تحقيق :طار الراوي، ط4، قم، إيران، 1364هـ.

- ❖ هدية العارفين، إسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥١.
- ❖ الوجيز في النّظم السّياسيّة، نعمان الخطيب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2011..
- ❖ الوجيز في علم الدّلالة، علي مزبان، دار شموع الثقافة، 2004.

Abstract ❖

The current study which is entitled "The State vocabulary in holy Quran in the light of Semantic field theory" tackled significance of vocabulary in holy Quran and the significance of the semantic field theory in the domain of the study. However, Quranic studies took time of the researchers' and students' attention long eras due to the odds and wonders Quran vocabulary is one of the most important and beautiful secret. Therefore, holy Quran proved its rhetorical and eloquence, miraculous in its system, style, choice of vocabulary, and arrangement of its meanings. Thus, holy Quran vocabulary took attention of linguists, interpreters, and jurisprudence scholar; so, they studied it linguistically, etymologically, Osouli, semantically, and rhetorically Semantic field theory is one of the theories that contributed in studying vocabulary in holy Quran. It does not look at vocabulary as independent lexical units, rather, they represent altogether coordinated connections they are combined by a particular relation. Hence, the semantic field is the group of words that their references are connected where they are all put under a general expression including all. So, reference of every word in this field can be identified through the search with the closest words to it. Then, the word cannot stand separately; on the contrary, there are relations that combine with other words in a way that all these words belong to one family

Based on this, choice of this research goes back to the desire to navigate in the Quranic text references and its enjoyment with features and merits. Also, research significance belongs to "importance of the Quranic text in the individual Muslims daily . life" and "considering the 'state' vocabulary is one of the 1 expressions mentioned in holy Quran which is regarded the first straight life constitution to Muslims. 'State' vocabulary was not referring to the same accurate concept of our current 'state' but there were indirect synonyms and concepts refer to 'state' .formation that we try to search

The research mentions these important points: manifesting significance of the Quranic text and manifesting vocabulary that .were mentioned which refer to the 'state

The study adopted the descriptive method that is based on induction and analysis devices because it helps the research to reach the intended results by investigating vocabulary in verse and Ayas of holy Quran; then, submitting to studying and analysis. The subject was studies as the following: an introduction, followed by a preface to the main research's concepts. The first chapter dealt with vocabulary that refer to place of the 'word' formation in holy Quran (state, city, village). The second chapter mentioned the 'state' vocabulary in holy Quran (frank names and hidden names). The third chapter mentioned the one who heads the state in holy Quran (prophets kings, normal kings). Finally, the last chapter discussed the vocabulary that refer to divine state, this is

followed by conclusion of the most important results and a list
.of references and bibliographies

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Kerbala University
College of Education for Human Sciences
Department of Arabic



**The State Vocabulary in Holy Quran in the light of
Semantic Field Theory**

:by

Zina Majid Muhsin

A Thesis Submitted to the Council of College of Education for
Human Sciences / Kerbala University as a Partial Fulfillment for
the Requirements of Master Degree in Arabic and its
Literature/linguistics

:The supervisor

Prof. Dr. Jenan Mansour Al-Juboury

2024A D

1445H.